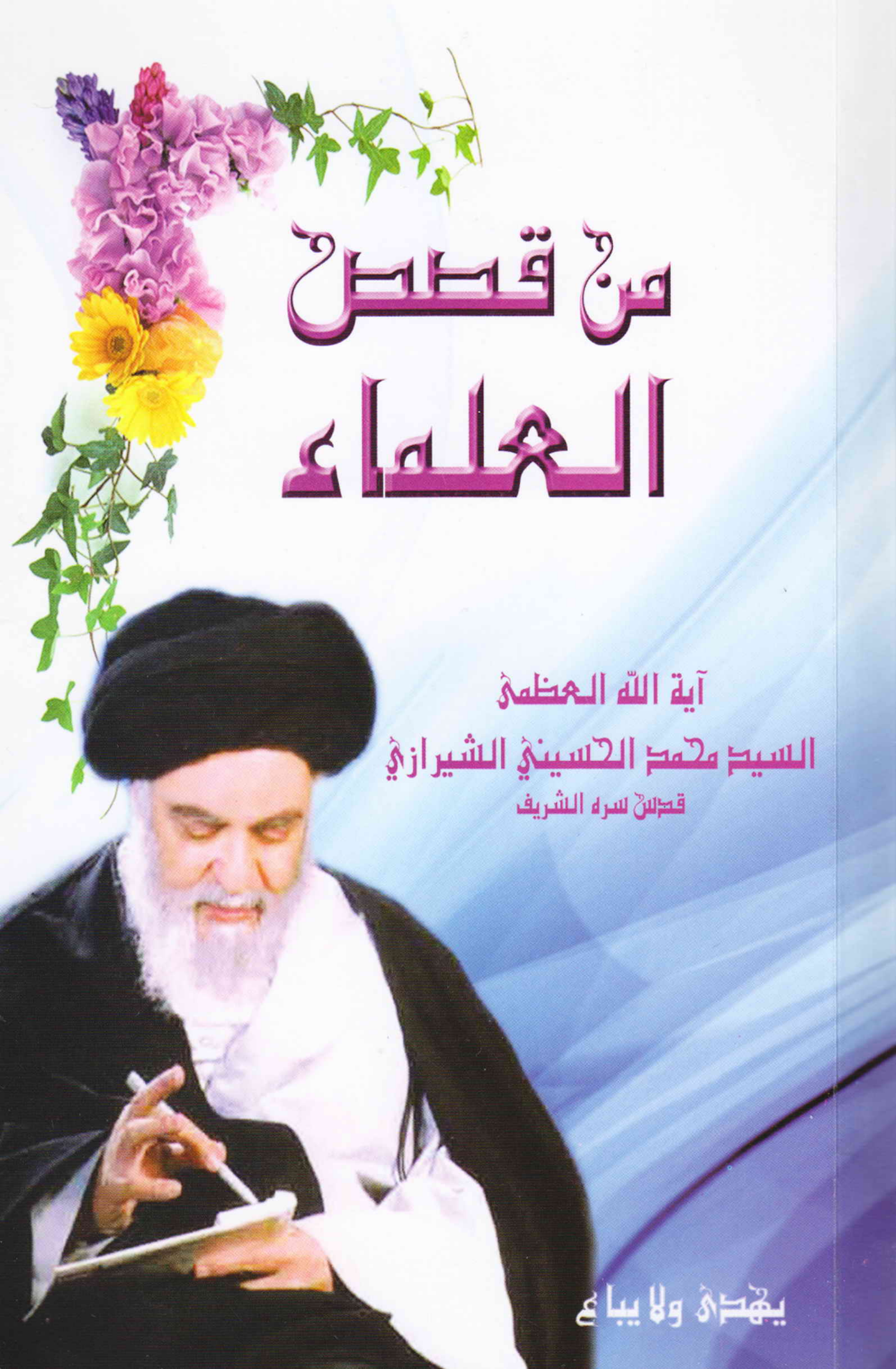

من قصص
العلماء
آية الله العظمى
السيد محمد الحسيني الشيرازي
قدس سره الشريف
يهدى ولا يباع

من قصص العلماء



آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

هوية الكتاب :

الكتاب : من قصص العلماء

المؤلف : آية اللّه العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

الناشر :

الطبعة : الاولى

١

من قصص العلماء

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

من أهم مصادر المعرفة الإنسانية التي تحرك سلوك الإنسان وتشكِّل حاضره اليومي هو التاريخ.. بحيث توفر أحداث التاريخ تراكماً كبيراً من التجارب والأفكار والرؤى التي يستفيد منها الإنسان لبناء وتوجيه حياته.

وإذا لقينا نظرة دقيقة على القرآن الكريم لوجدنا أن القسم الكبير منه يتناول التاريخ بالتحليل ويستنبط قوانين عامة ثابتة اعتبرها هي المحرك الأساسي للتاريخ، ففي قوله تعالى: ﴿ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾ تعبير واضح عن أهمية التاريخ والقصة، فالذي يصل إلى مستوىً جيد من الفهم والنضج والعقل يدرك تاريخ الأُمم ويحاول أن يستفيد من تجاربهم الايجابية ويتجاوز أخطائهم السلبية.

وفي تاريخنا الشيعي تسطرت ملاحم عظيمة كتبها علماء الشيعة بدمائهم وأقلامهم وجهادهم، لذلك فإن تاريخنا الشيعي النزيه جوهرة تتلألأ في سماء الإنسانية، فكلما استطعنا أن نقتبس من هذه التجارب الخالدة استطعنا أن ننقل أنفسنا إلىٰ مرحلة متطوّرة من الحياة الإنسانية المتقدمة والفاضلة.

وهذه مجموعة رائعة من قصص علمائنا الأبرار كتبها المرجع الديني الكبير الإمام الشيرازي «دام ظله» الذي سطّر بدوره ملاحم خالدة في تاريخنا الحاضر بجهاده العلمي الواسع الممثل بموسوعة الفقه التي تجاوزت الـ ١٣٠ مجلداً، وأفكاره المنيرة التي قدمت حلولاً جذرية لمشاكل الأمة، وجهاده الذي يعتبر تجربة حية تتعلم منها الأجيال معاني الأخلاق والفضيلة والنشاط والعمل.

وقد تجاوزت مؤلفاته في شتى الحقول ٩٥٠ كتاباً ودراسة وكراساً، فإنه «دام ظله» كتب بحوثاً ودراسات معمقة ومفصلة في «الفقه» و«الأصول» كما كتب كراسات وكتيبات مبسطة للجيل الناشىء، وكتب للطالب الحوزوي كما كتب للشاب الجامعي.(١)

الناشر

---

(١) للإلمام بمؤلفات الإمام الشيرازي وأفكاره وآرائه وانجازاته ونشاطاته نحيل القارىء الكريم إلى كتاب «أضواء علىٰ حياة الإمام الشيرازي».

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد: الإنسان انما يتقدم بالعلم والأسوة، فإن العلم نفسي والأسوة خارجية، ولذا قال سبحانه: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[1] ونحن الشيعة لنا أسوة كبيرة بالمعصومين عليهم السلام وبعلمائنا الأخيار «رضوان الله تعالى عليهم» وللتأسّي بهم نذكر فيما يلي بعض قصصهم المأثورة عنهم، والله المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

---

(١) سورة الاحزاب: ٢٠.

رضا الله سبحانه وتعالى

من علمائنا الكبار «رضوان اللّه عليهم»: السيد مهدي بحر العلوم «رحمة اللّه تعالى عليه»، كان هذا العالم الجليل قد وصل إلى مرتبة رفيعة من العلم والفضيلة، والزهد والتقوى، وكان هو المرجع الأعلى في زمانه لكل الشيعة.

ومن المعروف عنه انه كان يتشرَّف بخدمة الإمام المهدي، الحجة بن الحسن المنتظر «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف» بين حين وآخر، وقد رويت في أحواله قصص تستدعي النظر وتتطلّب الإنتباه، منها:

انه سافر ذات مرة وهو في أيام زعامته، وفي قمة عظمته إلى الحلة، ومدينة الحلة ـ على المعروف ـ مدينة قريبة من

النجف الأشرف تحتل موقعاً جغرافياً مهماً حيث تقع في مفترق الطريق بين النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وبغداد العاصمة.

ولما ورد في الحلة استقبله الناس استقبالاً منقطع النظير وكل يدعوه إلى أن ينزل ضيفاً عنده، لكن السيد مهدي «رحمة اللّه عليه» أبى النزول عند أحدهم وأخذ يسألهم عن رجل قصّاب مغمور الحال، فتعجّب الناس من سؤاله، كما وتعجَّبوا من تفقّده عن مثل هذا القصّاب في هذا الإستقبال الحافل والحشد الكبير من الناس والتجّار والأعيان، ولما فحصوا عن القصاب وظفروا به جاؤوا به إلى السيد وهم يبشرونه بالإقبال والحظ الكبير.

لم يطمئن القصاب من بشارة الناس له، لأنه في نفسه قصاب عادي بسيط ليست له شهرة ولا قوة، ولا مال ولا عشيرة، لكنه عندما التقى بالسيد، التفت إليه السيد «رحمة اللّه عليه» قائلاً: أيها القصاب أتحب أن أنزل ضيفاً عندك؟

رحب القصاب بالضيف الكبير واستهل فرحا وهو مستغرب جداً وكذلك استغرب كل الناس من هذه المفاجأة وقال: نعم.

ثم انه صحب السيّد «قدس سره» إلى منزله وأنزله ضيفاً عنده في داره المحقرة وإمكانياته البسيطة، وأخذ الناس يفدون إلى السيد «قدس سره الشريف» زرافات زرافات، والسيد يلاحظ من خلال ذلك أحوال القصاب بدقّة وكأنه يريد كشف حقيقة فيه، لكنه لم ير منه إلاّ إنساناً مسلماً بسيطاً يؤدّي واجبات الإسلام من صلاة وصيام. . . ، وينتهي عن محرمات الإسلام من كذب وغش. . . ، ويصدق في لهجته ومعاملاته، وكلما فتّش عنه لم ير له عمل خاص سوى ذلك الذي رآه منه، حتى انه رآه لايقوم لصلاة الليل ولايفعل النوافل والمستحبات وما أشبه ذلك، مما زاد استغراب السيد «رحمة اللّه عليه»، فطلبه ذات مرة وقال له: أسألك أيها القصاب هل لك عمل صالح خاص غير أعمالك هذه؟

قال القصاب : لا يا سيدنا ان أعمالي هي التي تراها، فإني أُواظب على صلاتي وصيامي، وعلىٰ صدقي وأمانتي، وأتورّع عن الكذب وعن غش الناس إلى غير ذلك من الأوليات الإسلامية.

فقال له السيد «رحمة اللّه عليه»: نعم رأيتُ كل ذلك، ولكن هل لك عمل خاص استحققت به التقرّب إلى اللّه تعالىٰ والزلفىٰ لديه غير هذه الأعمال العادية؟

قال القصاب : لا أتعاهد في أعمالي حسناً إلاّ عمل واحد، لعل ذلك هو الذي يكون سبب قربي كما تتفضّلون.

قال السيد «قدس سره الشريف»: وما هو ذلك العمل؟

قال القصاب : اني تزوّجتُ إبان شبابي بامرأة باكرة فلما دخلتُ عليها ليلة الزفاف وجدتُها وقد أُزيلت بكارتها من قبل، ولما أردتُ أن أخبر أهلها بذلك، توسّلت بي وقالت لي: استر عليَّ ستر اللّه عليك، فإن هذه فضيحة لي لاترحض عارها عنّي مدىٰ حياتي، فقبلتُ منها وسترتُ

عليها قربة إلى الله تعالى ولم أخبر بذلك أحدا.

وهنا عرف السيد سرّ تقرّبه إلى اللّه تعالىٰ، فالتفت إليه وقال له: ان عملك هذا الذي سترتَ به على انسان وحفظتَ به ماء وجهه هو العمل الذي أوجب تقرّبك إلى اللّه سبحانه.

وبعد ذلك جاء إلى السيد «رحمة اللّه عليه» بعض من خواص أصحابه وقالوا له: سيدنا لقد حدث في المجتمع ضوضاء كبير حول نزولك ضيفاً عند هذا القصاب ولازال ينقضي استغرابهم من عملك هذا، فإنهم وإن كان يحملون فعلك على أحسنه لما يتعاهدونه فيك من الحزم القويم، والعقل السليم، والفكر الصائب، إلا انهم متعجّبون من ذلك، فما هو السر في نزولك عند هذا القصاب؟

قال السيد «رحمه اللّه» ـ بعد إلحاح شديد منهم وبعد أن أخذ عليهم المواثيق المغلّظة بأن لايخبروا الناس بما يقوله لهم إلا بعد وفاته ـ: انه نزل عند القصاب بأمر من بقية اللّه الأعظم صاحب العصر والزمان الإمام المهدي الحجة بن

الحسن المنتظر «عجل الله تعالى فرجه الشريف» وهل له أن يخالف أمر الإمام ﷺ طلباً لتحقيق رغبة الناس وكسب رضاهم؟

وهذه القصة إن دلت على شيء فهي تدل علىٰ أمرين مهمين:

الأمر الأول : ان البرّ والخير مبعثر هنا وهناك، وان للإنسان أن يتقرّب إلى اللّه سبحانه وتعالى بعمل كعمل القصاب مما ليس له أيّ سمعة وشهرة بالنسبة إلى سائر الأعمال الجليلة، فعلى الإنسان أن يراقب نفسه ويخلص عمله للّه تعالىٰ، وينتهز كل فرصة حتى لايفوته شيء من المبرّات والخيرات، فإن اللّه سبحانه قد أخفى رضاه في طاعته.

الأمر الثاني : ان السيد مهدي «رحمه اللّه» نراه قد ضرب برضا الناس عرض الحائط وذلك ابتغاء مرضاة الإمام المهدي «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف»، مما يدل على ان

طريق الصواب، والفوز بالدرجات العالية في الدنيا والاخرة هو العمل علىٰ تحصيل مرضاة اللّه تعالى ومرضاة أوليائه ولو كان ذلك في سخط الناس.

وهذه القصة وأمثالها تدعونا إلىٰ إدخال بعض أولادنا في الحوزات العلمية لعلهم يتخرّجوا علماء متقين كأمثال السيد بحرالعلوم «قدس سره» ممن خدم الإسلام والمسلمين.

العلم مع التقوى قوة

قيل : انه كان لأحد شيوخ العمارة (وهي مدينة عشائرية في العراق) فلاّحاً، فاتّهم هذا الفلاح بالسرقة، فأراد شيخ العشيرة المتنفذ في عشيرته أن يقطع يده، فخافهم الفلاح على نفسه وفرّ منهم وهو يقول: انكم اتهمتموني بما تريدون معه قطع يدي وهتك حرمتي، فلا خير بعد ذلك في البقاء معكم والمكث عندكم، بل الخير في الرحيل عنكم والإبتعاد منكم، والإشتغال بطلب ما يعزّز يدي عليكم، ويحفظ كرامتي لديكم، مما يجعلكم تنهالون على يدي لثماً وتقبيلاً.

وهكذا فعل، فإنه كان رجلاً ذكياً جداً، فقد خرج مهاجراً وفاراً بنفسه من العمارة إلى النجف الأشرف وذلك

مشيا على قدميه حتى إذا وصل إلى النجف الأشرف أخذ في الدراسة الدينية وفي تحصيل الورع والتقوى وجدّ واجتهد حتىٰ وصل إلى درجة عالية من العلم، وكان ذلك في إبان زعامة المرجع الديني الكبير الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر «قدس سره».

ولما أكمل دراسته عند الشيخ صاحب الجواهر ورأىٰ منه الشيخ «قدّس سره»حسن نية وكفاءة، انتدبه وبإصرار بالغ لان يقوم بمهمة الوكالة في مدينته: مدينة العمارة، فوثّقه وفوّض إليه الأمور الحسبية. من امامة الجماعة في مسجدهم، وأخذ الحقوق منهم، وغير ذلك من مختصات شؤون الوكالة والوكلاء، وكتب معه كتاباً يوصي به شيخ العشيرة خيراً.

أقبل هذا العالم الجليل إلى العمارة وهو يحمل معه كتاب الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر «قدس سره»، ويتّسم بوسام الوكالة عنه.

فاستقبله شيخ العشيرة وحاشيته وأفراد عشيرته استقبالا حافلاً وذبحوا له الذبائح ونصبوا له الموائد، والتفّوا حوله، وصلّوا خلفه وأخذوا عنه المسائل والأحكام، وتعلّموا منه الحلال والحرام.

ولما جاء شيخ العشيرة ليقبّل يده قال له: هل تذكر قصة فلاح كان عندكم، فاتّهم بالسرقة، فأردتم قطع يده، فخافكم على نفسه، ففرّ منكم وقال: سأذهب في طلب ما يعزّز عليكم يدي ويحفظ فيكم حرمتي وكرامتي؟

أطرق الشيخ رأسه وأخذ يستعيد شريط الماضي ويجتر ذكريات القديمة ثم رفع رأسه وقد تذكر القصة، فانهال على يد الوكيل يلثمها ويقبلها وهو يقول:

نعم، لقد نجوتَ بنفسك، وحفظت علينا كرامتك وعزّة يدك، وأزحت عن نفسك الشبهة والتهمة، فبارك اللّه فيك وفي يدك، فإنها جديرة بالتقبيل لأنها يد تكتب الحلال والحرام، وتدوّن الكتب الدينية والأخلاقية، فتبعث في

النفوس الإيمان والفضيلة، وتحفظ المجتمع من الإنحراف والإنهيار.

وهكذا استطاع ذلك الفلاح أن يحوّل يده المهدّدة بالقطع إلىٰ يد تستحق اللثم والتقبيل.

وما علينا نحن إلا أن نجعل بعض أولادنا طلاباً للعلوم الدينية حتى يتوفّقوا لنيل مثل هذه المراتب الرفيعة والمقامات العالية في الدنيا والآخرة إن شاء اللّه تعالى.

الكيمياء النظرية أو التجربية

من علمائنا الأبرار الشيخ الورّام «قدس سره» صاحب كتاب: «مجموعة ورّام»، الذي كتب في الزهد والتقوى، والأخلاق والفضيلة، وامتاز من بين الكتب المكتوبة في هذا المجال، وفاق عليها دقة وجمالاً مما يدل علىٰ جلالة مؤلفها وعظم شخصية كاتبها: الشيخ ورام «قدّس سرّه». علماً بأن الشيخ هذا هو جد السيد ابن طاووس «قدس سرّه» من طرف الأم.

كان هذا العالم الجليل والحبر النبيل يقطن الحلة الفيحاء، ومع انه كان يسكن داراً عامرة تحل وسط مزرعة كبيرة إلا ان قلبه لم يكن متعلقاً بها ولا محباً لها، وانما كان قلبه متعلقاً

بالله تعالى ومتصلا به، محبا لله ولأوليائه، مشغولا عن الدنيا بحمده تعالى وثنائه.

وكتابه: «مجموعة ورّام» أصدق شاهد على ذلك، ويؤيده أيضاً القصة المروية عنه وهي كالتالي:

يقال: ان أحد علماء الهند سمع بزهد الشيخ ورّام وعبادته، وورعه وتقواه، فأعجب به كثيراً ومما زاد في إعجابه ودعاه إلى اللقاء به أن سمع انّ للشيخ إلماماً بعلم الكيمياء (والكيمياء جوهر إذا طلي به شيء من النحاس تحوّل ذهباً في الساعة).

فشدّ الرحال إليه من بلاد الهند وجاء حتى وصل إلى الحلة وتشرّف بخدمة الشيخ ورام «رحمة اللّه عليه» لعله يتعلّم منه الكيمياء، فنزل ضيفاً علىٰ شيخ ورام وبقي عنده عدة أيام لكنه لم يظهر له في هذه المدة شيء من علم الشيخ بالكيمياء ولم ير منه إلاّ الزهد والتقوى، والإلتزام بالفرائض والنوافل، ومواصلة الاعمال الإجتماعية من امامة الجماعة،

وكتابة أجوبة المسائل الدينية، وتعليم الأحكام الشرعية، وفصل الخصومات بين الناس، وما أشبه ذلك، مما جعل الضيف يضطر إلىٰ مصارحة الشيخ بحاجته.

ففي ذات يوم حيث كان الشيخ الورّام «قدس سره» يتوضأ سأله ذلك الضيف قائلاً: أيها الشيخ الجليل اني قصدتك من بلاد الهند وقد تحمّلت المشقّة الكبيرة في سبيل الوصول إليك ـ حيث ان السفر في ذلك اليوم وخاصة السفر بين الهند والعراق كان يستغرق من الزمان ما يقارب السنة مع التعرض إلى أخطار البحر والبر وما أشبه ـ وان لي إليك حاجة ملحّة.

فقال الشيخ «رحمة اللّه عليه» وما حاجتك؟ فإنها مقضية إن شاء اللّه تعالى.

قال الضيف : اني قصدتك من بلاد الهند لأتعلّم منك علم الكيمياء فقد بلغني عنك بأن لك الماماً كبيراً بعلم الكيمياء.

وهنا ضحك الشيخ الورام وقال: نعم أما كيميائي فليس جوهراً كما سمعت وانما هو نوع آخر، ثم أشار بيده إلى ابريق من نحاس كان هناك مخاطباً إياه بقوله: كن ذهباً، وإذا بالإبريق يتحوّل بإذن اللّه سبحانه وتعالىٰ في اللحظة إلى الذهب.

ثم توجه الشيخ الورّام «رحمة اللّه عليه» إلى ضيفه وقال: كيميائي من هذا النوع لا من نوع الجوهر، فإذا أردتَ أن تحصل علىٰ هذا الكيمياء فعليك أن تزهد في هذه الدنيا، وتطيع اللّه تعالى، وتتوسّل إليه بأوليائه حتى يعطيكه اللّه تعالى، فإنه سبحانه قال: **﴿والَّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾**.[1]

وفي الحديث القدسي: «عبدي أطعني تكن مثلي أقول لشيء كن فيكون وتقول لشيء كن فيكون».[2]

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) راجع بحار الانوار: ٩/٣٧٦ب ٢٤ ح ٣٧٦.

نعم ان الكيمياء الواقعية مخبوة في العلم والتقوىٰ، والاخلاق والفضيلة، فلنحمل أنفسنا وأهلينا على ذلك إن شاء اللّه تعالى.

من آثار العلم والتقوى

ينقل عن أحد العلماء المتّقين في تبريز ـ وهي مدينة من مدن ايران ـ انه كان يمرّ ببعض الطريق فرأى أُناساً مجتمعين فيه، فسألهم عن سبب اجتماعهم؟

فقالوا له وهم يشيرون بأيديهم إلى الأعلىٰ: أترى الطفل على الميزاب؟ انه زحف بنفسه حتى وصل إلى الميزاب وهو مشرف على السقوط، ولاندري ما نفعل معه؟ فلا يد تصل إليه من السطح لأخذه من على الميزاب، ولا سلّم نرتقي إليه لأخذه من عليها، وهانحن متحيّرون في أمره حيث لانرىٰ طريقاً لنجاته، فلا نرىٰ إلا انه سيسقط ويموت.

وبالفعل فقد زحف الطفل وانزلق من على الميزاب

وهوىٰ نحو الأرض، لكن الغريب الذي حدث وألفت أنظار المجتمعين هو: ان هذا العالم المتقي، الذي وقف معهم يسألهم عن اجتماعهم، التفت إلى الطفل وهو في حال الهوي وقال يخاطبه: قف في مكانك.

وإذا بالطفل يبقىٰ ـ بإذن اللّه تعالى ـ معلقاً بين السماء والأرض، ويمدّ ذلك العالم المتقي يده نحو الطفل ويأخذه بيده ويجعله على الأرض سالماً.

وهنا ازدحم الناس على العالم والتفّوا حوله يسألونه عن أمره ويرون انه يعرف الإسم الأعظم وقد قرأه على الطفل فاستجاب اللّه تعالى له.

أجابهم العالم قائلاً: كلاّ، اني لم أعرف الإسم الأعظم، ولكني رأيت الحديث القدسي يقول: «عبدي أطعني أجعلك مثلي، أو: تكن مثلي»[1] وأنا أطعت اللّه على علم ومعرفة، فأعطاني اللّه سبحانه وتعالى ما وعدني

---

(١) راجع بحار الانوار: ٩/٣٧٦ ب ٢٤ ح٣٧٦.

به.

نعم، ان اللّه لا يخلف وعده، ولكن علينا أن نتعامل مع اللّه تعالى صادقين لو أردنا أن نصل إلى هذه المقامات العالية والدرجات الرفيعة، فإن العلم والتقوىٰ سلّم الإرتقاء إلى اللّه سبحانه في الدنيا والآخرة.

وهذه القصة علىٰ صغرها، تنطوي ـ كما لايخفىٰ ـ علىٰ درس كبير، وعظة بليغة تحرضنا على المثابرة في طلب العلم وابتغاء الزهد والتقوىٰ واحتذاء العلماء العاملين.

العلم والتقوى سلم الكمال

في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم ﷺ : «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل»[1] ومن أنبيائهم يوسف الصديق عليه السلام الذي تحدّث القرآن الكريم عن علمه وتقواه، وتواضعه وأخلاقه، وسياسته الحكيمة في ادارة البلاد والعباد، بما فيه عبرة لنا وعظات.

ومما يناسب المقام هو ما ذكر في أحوال يوسف الصدّيق عليه السلام وزليخا زوجة العزيز، فإن زليخا صارت بعد طول عمر عجوزاً عمياء، منحنية الظهر، وأصبحت بعد ذلك العزّ ذليلة منبوذة، فصنعت لنفسها كوخاً علىٰ قارعة الطريق

---

(١) بحار الأنوار : ٢/٢٢ ب ٨ ح ٦٧ .

كانت تجلس على بابه تتكفف الناس وتسأل عن كل من يمر بها عن يوسف عليه السلام.

وإذا بيوسف الصدّيق عليه السلام يمرّ ذات يوم من ذلك المكان وهو في كوكبته وحاشيته، وحوله الصخب والضوضاء.

فلما اخبرت بعبور يوسف عليه السلام من ذلك المكان أخذت تناديه بصوتها الضعيف: يوسف، يوسف، يوسف، تناديه وهي تأمل أن يسمع صوتها فيأتيها ويرقّ عليها وعلىٰ حالها.

لكن الصوت الضعيف كيف يصل إلى مسامع يوسف عليه السلام وهو بعيد عنها غاية البعد، وحوله من ضوضاء حاشيته وصخب كوكبته ما يحجب عنه مثل صوتها الضعيف؟ ولذلك تجاوز يوسف المكان دون أن يسمع صوتاً لأحد.

لكن زليخا لم تيأس من ذلك مع ضعف صوتها، وبقيت تناديه وهي تأمل بلوغ صوتها إلى مسامع يوسف عليه السلام وأخيراً توجّهت إلى اللّه سبحانه وتعالى الذي بيده ناصيتها وهو علىٰ

كل شيء قدير في ذلك، وتضرعت إليه في انجاز مهمتها وقضاء حاجتها قائلة:

اي رب لقد عصيتك إذ عصيتك وأنا جاهلة، وأنا الآن أدعوك وأنا بك عارفة، وتائبة مما سلف منّي، فتب عليَّ بلطفك الجسيم، ومنّك العظيم، ورحمتك الواسعة، وأوصل صوتي الضعيف إلى مسامع يوسف واجعل قلبه عليّ عطوفاً، وبي رحيماً.

وأخذت تدعو وتتضرّع إلى اللّه سبحانه وتعالى بقلب حزين، وصوت كئيب، وعين باكية، ونفس إلى ثواب اللّه وقضاء حاجتها راغبة، وهي تردّد قولها: يوسف، يوسف، حتى إذا رجع يوسف عليه السلام من نفس الطريق وهو في كوكبته، تحوطه حاشيته ويصحبه ضوضاء موكبه وصحبهم، فأمر اللّه سبحانه وتعالى الريح بإيصال صوت زليخا إلى مسامع يوسف عليه السلام، وإذا بيوسف عليه السلام يسمع صوتاً حزيناً وكئيباً يردّد ويقول: يوسف، يوسف، فأخذ ذلك الصوت بمجامع

قلبه، وهزه من أعماقه، مما دعاه إلى أن يتوقف عن المسير، ويأمر بعض حاشيته بتعقيب الصوت والتحقيق عن صاحبه.

فعقّب ذلك الرسول الصوت حتى وصل إلى كوخ على قارعة الطريق فرأى على بابه امرأة عجوزاً، طاعنة في السن، منحنية الظهر، عمياء لاتبصر شيئاً وهي تردّد بضعيف صوتها، وتقول بحزن وكئابة: يوسف، يوسف، فرجع الرسول إلى يوسف عليه السلام وأخبره بمصدر الصوت، وانها امرأة عجوز طاعنة في السن...

فقال يوسف عليه السلام لحاشيته: ائتوني بها ننظر ما حاجتها؟

فلما جاؤا بها إليه، سلّمت وقالت: سبحان اللّه الذي أعزّ العبيد بطاعته، وأذلّ الملوك بمعصيته.

فردّ عليها يوسف عليه السلام السلام وقال لها: متسائلاً: من أنتِ وما حاجتك؟

قالت العجوز: لعلك لم تعرفني، والحق معك إن لم تعرفني، فلقد كنتَ في بيتي وأنا يومئذ شابة في ريعان

شبابي، ونـظارة عمري، وبهجـة حياتي، وقد أصبـحت اليوم عجـوزاً بالية، مـنحنية الظـهر، شاحـبة اللون، كـاسفة الـبال، عميـاء لا أبصر قدامي ولا أرىٰ طريقي، فـلا لوم عليك إن لم تعرفني.

وهنا استـعـاد يوسف ﷺ في ذاكـرته يـومـياته المـاضيـة، وأيامـه السـالفـة، ثم التـفت إلـى العـجوز وقـال: ألسـت أنت صاحبتي بالأمس؟ أعني امرأة العزيز زليخا؟

قـالت الـعـجـوز : نعم، أنـا صـاحـبتك بالأمـس، فـإني زوجة العزيز زليخا، وأنت يوسف الصدّيق.

فرقّ عليـها يوسف ﷺ، وقال لهـا بلطف وحنان: وهل لك حاجة أُسعفك علىٰ انجازها؟

قالت زليخا بلهفة ـ وكأنها كانت تنتظر من يوسف ذلك ـ نعم، لي إليك حاجة.

قال يوسف ﷺ : ومـا هي حاجتك أبديهـا فإنها مقـضية إن شاء اللّه تعالى؟

ولكن ما راع يوسف عليه السلام إلا انه واجه حاجة لايمكن انجازها إلاّ عن طريق الإعجاز، حيث ابتدرت إليه زليخا وعرضت عليه حاجتها قائلة: حاجتي إليك أن تسأل اللّه تعالى حتى يردّ عليّ شبابي ونظارتي.

وهنا توقّف يوسف عليه السلام عن الجواب، ولكن فوجيء بهبوط جبرئيل عليه يبلغه السلام من اللّه العليّ القدير ويقول له: ان اللّه يقرؤك السلام ويقول لك: ادع اللّه لزليخا بما سألتك، فلقد أتت بابنا وتضرّعتْ إلينا في بلوغ آمالها ونيل مآربها، وبابنا لايردّ سائله ولا يخيب آمله، فادع اللّه لها بما شاءت.

فرفع يوسف عليه السلام يده بالدعاء إلى اللّه تعالىٰ ودعا بأن يردّ عليها شبابها، وإذا بزليخا تعود إلى ما كانت عليه من الشباب والغضاضة ويعود إليها بصرها ودلالها.

فلمّا رأت زليخا نفسها شابة مبصرة، ووقع نظرها على مُحيّا يوسف عليه السلام من جديد قالت ليوسف وهي تلتمسه:

يا يوسف ادع الله سبحانه وتعالى أن يجعل حبي في قلبك كما جعل حبكَ في قلبي.

فتوقّف يوسف عليه السلام هنا للمرّة الثانية عن الدعاء لها، لكن جبرائيل كان واقفاً إلى جنبه فالتفت إليه قائلاً: يا يوسف ألم أُخبرك عن اللّه تعالى بأنه يأمرك أن تستجيب لها وتدعو لها بما تريد؟

فرفع يوسف عليه السلام يده إلى اللّه تعالىٰ يدعوه بأن يجعل حبّها في قلبه كما جعل حبّه في قلبها، فلم يتم يوسف عليه السلام دعاءه إلا وقد جعل اللّه حبّها في قلبه، فعرض عليها أن يتزوّجها، فكانت هي الأخرى التي تتمنّىٰ ذلك، فأبدت له موافقتها وتم زواجهما على أحسن وجه، فالزوج نبيّ كريم وهو يوسف الصدّيق عليه السلام، والزوجة أمة صالحة وهي زليخا في ريعان الشباب، وغاية الجمال، ومنتهى الأدب والكمال، قد عركتها التجارب، وحنكتها المصاعب والمشاكل، ودلّتها على اللّه تعالى الذي بيده الخير وهو علىٰ كلّ شيء قدير.

ومضىٰ علىٰ ذلك مدة وذات مرة دخل يوسف ﷺ في غرفة زليخا يريد منها ما أحلّه اللّه له من قضاء الوطر، وإذا بزليخا تقوم بإعادة مسرحية الماضي، وتلعب نفس الدور الذي قام به يوسف الصدّيق ﷺ تجاهها حين أرادت منه ما حرم اللّه عليها من قضاء الوطر.

فأخذت تفرّ من بين يدي يوسف، ويوسف هو الآخر الذي أخذ يعدو من خلفها، وهي تفرّ من بين يديه، حتى إذا رأى انه لايصل إليها أمسك بثوبها، فانشق الثوب من خلف، وتمّت المسرحية على ما قد وقعت عليه في الماضي كاملة بلا زيادة ولا نقيصة.

وهنا وفي هذه اللحظات الحاسمة إذا بيوسف ﷺ يرىٰ جبرئيل وقد هبط عليه ليذكّره بالماضي ويقول له: انه يوم بيوم.

نعم، انه يوم بيوم، فقد آلى اللّه سبحانه وتعالىٰ علىٰ نفسه أن لايجتنب الإنسان الحرام للّه إلاّ وقد رزقه اللّه من

الحلال ما هو ألذ منه وأطيب.

هذا ولا بأس ان نعود فنذكّر بما مرّ من قول زليخا ليوسف عليه السلام عند أوّل التقائها به، فإنها قالت له قولاً ثميناً جداً، وهو: سبحان اللّه الذي أعزّ العبيد بطاعته (تعني بذلك يوسف الصدّيق عليه السلام، لأن يوسف عليه السلام جُلب إلى مصر كعبد واشتراه عزيز مصر ليخدم أهله، لكنه حيث أطاع اللّه سبحانه أصبح بعد العبودية ملكاً وعزيزاً على مصر).

ثم قالت: وأذلّ الملوك بمعصيته (تعني به نفسها، فقد كانت زوجة العزيز وملكة مصر، لكنها حيث عصت اللّه تعالىٰ أصبحت بعد ذلك العزّ ذليلة حقيرة يرثىٰ لحالها).

ولا يخفىٰ ما في كلامها هذا من الإعتراف بذنبها، والندامة علىٰ ما سلف منها، والتوبة إلى اللّه من عظيم جرمها، والإنابة إليه سبحانه.

نعم، معصية اللّه سبحانه وتعالىٰ تذل الملوك وطاعة اللّه سبحانه وتعالىٰ تعزّ العبيد كما قال الإمام الحسن عليه السلام: «من

أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية اللّه إلى عزّ طاعة اللّه».

وعلينا نحن إذا أردنا سعادة دائمة وعزّة الدنيا والآخرة بالإلتزام بطاعة اللّه تبارك وتعالىٰ وترك معصيته، مشفوعاً ذلك بطلب العلم والتفقّه في الدين، فقد قال سبحانه: **﴿يرفع اللّه الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾**.[1]

كما انّ علينا أن نشجّع بعضاً من أولادنا ـ إن لم يمكن كلهم ـ ونرغّبهم بالدراسة الدينية في الحوزات العلمية ليتعلّموا العلم ويصلوا إلى درجات راقية من الفقه والإجتهاد.

ففي الحديث الشريف: «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل».[2]

---

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) بحار الانوار: ٢/٢٢ ب ٨ ح ٦٧.

المفيد : مفيدٌ لشيعتنا

هذه العبارة ـ على ما قيل ـ منسوبة إلى الإمام الثاني عشر الحجّة بن الحسن المنتظر «عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف» قالها في حق الشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه»، وهو مما يبعث فينا الأمل الكبير، ويحثنا علىٰ وقف بعض أولادنا على الدراسة الدينية، لعلّهم يحظَوا بما حظىٰ به الشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه» من القرب إلى اللّه تعالىٰ والتقدير والتكرمة عند الإمام المهدي «أرواحنا فداه» ويكونوا أمثال الشيخ ونظرائه في افادة الناس.

علماً بأنّ والد الشيخ المفيد كان معلماً لكنه أدخل ابنه الشيخ المفيد «قدّس سرّه» بعد تعليمه الكتابة والقراءة في

الحوزة العلمية، وجعله طالبا من طلبة العلوم الدينية، فنَبَغ وصار مَثَلاً في العلم والعمل وبقي إلى اليوم وهو ما يقرب من ألف سنة حيّاً يُذكر على المنابر، وفي الكتب، وعند العلماء، وعند الشعوب، وصار ممَّن يُضرَب به المثل في التقوى والفضيلة.

لقد وصلت حالة الشيخ المفيد «قدس سره» من القرب عند اللّه سبحانه وتعالىٰ إلى أن «فاطمة» والدة السيد الرضي والسيد المرتضىٰ «رحمة اللّه عليهما» جاءت ذات مرة بولديها: السيدين الرضي والمرتضىٰ إلى الشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه» وقالت له: يا شيخ علّمهما الفقه.

وحينذاك تذكّر الشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه» الرؤيا التي كان قد رآها في الليلة الماضية حيث كان قد رأىٰ في المنام: ان فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد جاءت إليه وهي آخذة بيدي الحسن والحسين «عليهما الصلاة والسلام» وقالت له: يا شيخ علّمهما الفقه.

وقد تحققت تلك الرؤيا وعبرت بمجيء «فاطمة» ام السيدَين الرضي والمرتضىٰ بهما إليه وقولها له: يا شيخ علّمهما الفقه.

وهذا إن دل علىٰ شيء فإنه يدل علىٰ عظم مكانة السيدة: فاطمة أُم الرضي والمرتضى، ومكانة السيدين: الرضي والمرتضىٰ «رحمة اللّه عليهما»، ومكانة الشيخ الأجل: الشيخ المفيد «قدس اللّه نفسه الزكية».

ولا يدلّ علىٰ حكر تلك المكانة الشامخة بهؤلاء العلماء الأبرار.

بل يدل علىٰ شمول تلك المكانة لكل من نهج نهجهم، وسار على خطاهم، وأخلص للّه تعالىٰ في طلب العلم والتقوىٰ.

وهو أيضاً مما يدعونا إلى ان نجعل بعض أولادنا طلاباً للعلوم الدينية آملين بأن يصبح أحدهم كالشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه» وكالسيدين الجليلين: الرضي والمرتضى

«رحمة الله عليهما» ان شاء الله تعالى.

فإن عالَم اليوم بما أصابه من المشاكل بحاجة ماسّة إلى أمثال هؤلاء، وما أقلّهم اليوم، وما أكثر الإحتياج إليهم وإلى أمثالهم من العلماء المخلصين، والمجتهدين العاملين.

نموذج من تقوى الشيخ المفيد

من المعروف انه كلما ازداد الإنسان علماً وايماناً ازداد تقوى وورعاً، واشتدّ حذراً من النفس والشيطان وخوفاً من كيدهما وتسويلاتهما، فيزداد علىٰ أثر ذلك احتياطاً في العمل، ونزاهة في الخُلق، وجمالاً في السلوك والسيرة.

وقضايا الشيخ المفيد «قدس سره» في هذا المجال كثيرة ومفصّلة، جاءت مذكورة باسهاب في الكتب التاريخية والرجالية، مثل قضايا زهده، وقضايا علمه، وقضايا ورعه، وقضايا تقواه، وإلى آخره.

وقد ورد في أحوال الشيخ المفيد «رضوان اللّه تعالى عليه» انه عندما جاءت السيدة فاطمة بابنيها السيدين: الرضي

والمرتضىٰ «رضوان الله تعالى عليهما» وأودعتهما عنده ليعلّمهما الفقه، وبدأ الشيخ بتدريسهما كانا بعدُ لم يبلغا الحُلُم، ولم تنبت اللحية بعدُ في وجهيهما.

فلما اشتغل الشيخ «رحمة اللّه عليه» بتدريسهما، ومضت عليهما مدة، بلغ السيّدان الحُلُم ونبتت اللحية على عارضيهما، وبعد ذلك جاء أحد مقلّدي الشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه» بهدية إلى الشيخ وكانت هديّته مجموعة من المشط الخاص بتسريح اللحية، فقسّم الشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه» أعداد المشط علىٰ تلاميذه ولم يدّخر شيئاً منها لتلميذيه السيّدين: الرضي والمرتضىٰ «رحمة اللّه عليهما»، فتأثّر السيّدان في نفسهما ولم يبديا للشيخ الأُستاذ شيئاً.

فعرف بعض تلاميذ الشيخ المفيد ذلك منهما فاقبل على الشيخ الأُستاذ وقال متسائلاً: سماحة الشيخ الأُستاذ انكم قسّمتم أعداد المشط علىٰ تلامذتكم إلاّ السيدين: الرضي والمرتضىٰ، حيث انكم لم تهدوا إليهما شيئاً منها، فما هو

سبب منعهما؟

وهنا انبرى الشيخ «رحمة اللّه عليه» ليقول: وهل السيّدان: الرضي والمرتضىٰ ملتحيان؟

ازداد التلميذ المعترض تسائلاً وقال: انهما يتلمّذان علىٰ سماحتكم كل صباح ومساء، فكيف لاتعلمون سماحتكم بالتحائهما؟

وهنا رفع الشيخ «رحمة اللّه عليه» رأسه وألقىٰ بنظره الحنون على تلميذيه السيدين: الرضي والمرتضىٰ «رحمة اللّه عليهما» فرأى سواد عارضيهما ونبات لحيتهما، فاعتذر إليهما ثم التفت إلى التلميذ المعترض وقال معتذراً: اعلم يا بُني اني لما جاءتني السيدة فاطمة بابنيها السيدين الجليلين: الرضي والمرتضىٰ وقالت لي: علّمهما الفقه، نظرتُ إلى وجهيهما فرأيت على محيّاهما شيئاً من الحسن والجمال، ولهذا تحاشيت عن النظر إلى وجهيهما طول هذه المدّة، فلم أعلم بأنهما قد التحيا، وهذا ليس تهاوناً مني ولا استصغاراً لهما،

فإني انما لم أعطهما من المشط لاستصحاب عدم التحائهما .

نعم، بهذا الزهد البالغ والورع العجيب، وبذلك العلم الرفيع والخُلق السامي، استطاع الشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه» أن يصل إلىٰ هذا المقام الرامق والدرجات العالية: من القرب إلى اللّه تعالى، والحظوة عند الإمام المهدي «عجّل اللّه تعالىٰ فرجه الشريف» .

هذا ولا يخفىٰ ان في تلك الأزمنة ـ أي : أزمنة الشيخ المفيد ـ كان العباسيون وحاشيتهم قد أسرفوا في الفساد، فشبهوا البنات بالأولاد والأولاد بالبنات وروّجوا أسواق (الغلاميات) المعروفة في التاريخ ولذا كان المتورعون من أمثال الشيخ المفيد «رحمة اللّه عليه» يقابلون تلك الأمور المتحلّلة بهذه الشدّة، حتى يستطيعوا من تعديل الأمور، وإرجاع الوضع إلى نصابه .

وعليه : فلا يبقىٰ مجال للقول: بأن الرسول ﷺ والأئمّة الطاهرين عليهم السلام لم يعملوا بمثل عمل الشيخ المفيد «رحمة اللّه

عليه» في غض البصر، وعدم النظر، فلماذا هذا التشديد والدين سمح لا عسر فيه؟

نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق لما يحب ويرضىٰ وأن يجعل منا من ينتصر به لدينه، وأن يسدّدنا بالعلم والتقوى.

وما ذلك على الله بعزيز.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

٢

من نهج العلماء

آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين

وصلى اللّه على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك نذكر بعض ما حكي من قصص العلماء والمراجع الكبار الذين أقاموا الدنيا وأقعدوها بأخلاقهم وحسن تدبيرهم، ليكون ذلك نبراساً ونوراً يضيء لنا حوالك الأيام والليالي، ويحل لنا مشاكل الدهور والأزمنة، ويرينا طريق التغلب عليها واستخدامها من أجل إبلاغ رسالات اللّه تعالى إلى الناس، وإنقاذهم من الضلال إلى الهدىٰ، فنسعد ونُسعد الآخرين بدنيا هانئة وآخرة حميدة، إن شاء اللّه تعالىٰ وما ذلك على اللّه بعزيز.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

من وفاء العلماء وصفائهم

يقال: ان الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر «قدس سره» الذي وصلته الزعامة الكبرى، والمرجعية الشيعية العليا أواسط القرن الثالث عشر الهجري، أي: بعد عام «١٢٤٥» الهجرية، سنة ارتحال مرجع عصره ووحيد زمانه: شريف العلماء «قدّس سرّه» الذي كان يقطن كربلاء المقدسة والذي كان يحضر درسه فيها عدد كبير من العلماء يربو عددهم على ألف عالم من بينهم الشيخ الأنصاري «قدس سره».

فانتقلت الزعامة من بعده إلى الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر «قدس سره» في النجف الأشرف.

كان يواجه هذا العالم الجليل الحكام العثمانيين الذين

كانوا يحاولون التدخل في شؤون الحوزات العلمية وفرض سيطرتهم وأحكامهم الجائرة عليها، لذلك كان يظهر لهم بمظهر العزّة والعظمة، فكان يتأنّق في ملبسه ومظهره، ويتجمّل في منزله ومسكنه، ويُغدق المال على الطلبة والعلماء، ويعطي الهدايا الجليلة للشعراء والأُدباء، حتى يتمكّن من حفظ استقلالية الحوزة ويقاوم بذلك سيطرة العثمانيين.

بينما لم يكن الشيخ الأنصاري «قدس سره» يواجه ما يواجهه الشيخ صاحب الجواهر، ولم تتطلب ظروفه ما تتطلبه ظروف صاحب الجواهر، ولذلك كان الشيخ الأنصاري «قدس سره» لايظهر بمظهر العزّة والعظمة، وانما كان يظهر بمظهر الزهد والبساطة في ملبسه ومسكنه، ومأكله ومشربه، وفي كل شيء، حتى قيل له ذات مرّة: انا نرى البون الشاسع بين أُسلوبكم وأُسلوب الشيخ صاحب الجواهر، فصاحب الجواهر يتأنّق في كل شيء ويتجمّل فيه، وأنتم تزهدون في

كل شيء وتتواضعون فيه؟ فهل اسلوبكم صحيح، أو أُسلوب الشيخ صاحب الجواهر؟

وكانوا يقولون: ومن المعلوم انه لايمكن تصحيح الأُسلوبين معاً لأنهما متضادان، ولا يعقل جمع المتضادين.

وعليه: فإذا كان الإسلام يؤيّد أُسلوبكم فقط دون أُسلوب صاحب الجواهر فلماذا عمل صاحب الجواهر بذلك الأُسلوب؟ وإذا كان الإسلام يؤيّد أُسلوب صاحب الجواهر، فلماذا أنتم ـ أيها الشيخ الأنصاري ـ تعملون بهذا الأُسلوب الذي نراكم عليه؟

وهنا رأى الشيخ الأنصاري «قدس سره» تعقيد الإشكال في نظر المستشكل، فأخذ يقدّم للجواب بالمقدمة التالية قائلاً:

قدم انسان غريب إلى المدينة المنوّرة لزيارة قبر رسول الله ﷺ، وزيارة سبطيه: الحسن والحسين عليهما السلام، فالتقى بالإمام الحسين عليه السلام فرآه وهو صائم وأصحابه صائمون، وهم مابين قائم وراكع وساجد، يتلون القرآن ويدعون الله تبارك

وتعالى ويناجونه ويتضرعون إليه.

فخرج من عند الإمام الحسين ﷺ وجاء إلى الإمام الحسن ﷺ والتقىٰ به في نفس اليوم فرآه بعكس ما رأى فيه الإمام الحسين ﷺ رآه قد مدّ سماطاً فيه ألوان من الطعام وهو يأكل وأصحابه يأكلون.

فتعجّب الرجل مما رآهما عليه، وتوجّه إلى الإمام الحسن ﷺ قائلاً: يابن رسول اللّه لقد رأيت أخاك الحسين ﷺ صائماً وأصحابه معه صائمون، ورأيتك أنت تأكل وأصحابك حولك يأكلون، فأيّ السيرتين هو الصحيح في الإسلام؟ وهل الإسلام يأمر بانتهاج هذه السيرة، أو انتهاج تلك السيرة؟

فأجابه الإمام الحسن «عليه الصلاة والسلام» وهو يبتسم إليه بما مضمونه قائلاً: هوّن عليك يا أخي، فإنه ليس بين السيرتين تضاد وتناف، بل ان كلتا السيرتين من الإسلام، والإسلام يأمر بهما، غير اني أفطرتُ ومددتُ السماط

وأكلت وأكل من حولي من الضيوف والزائرين لينعكس من ذلك إلى الناس، سماحة الإسلام ورحمته، واحتفاؤه بالضيوف والزائرين، وحبّه لبذل الطعام وإشباع الجائعين، واهتمامه بالجسم والماديات كما يهتم بالروح والمعنويات.

وصام أخي وصام من حوله واشتغلوا بالصلاة والدعاء، وتلاوة القرآن، لينعكس من خلاله إلى الناس حكمة الإسلام وجامعيته، واعتناؤه بغذاء الروح من صلاة وصيام ودعاء كاعتنائه بغذاء الجسم من أكل وشرب، وراحة وسكن، وليعرف الناس ان الإسلام ليس كاليهودية المحرّفة تهتمّ بالجسم والماديات فقط، ولا كالمسيحية المشوّهة تعتني بالروح والرهبنة فقط، بل الإسلام يهتم بالجسم والروح معاً، ويوفر الماديات لحياة الجسم كما يهيّيء المعنويات لحياة الروح، فكلتا السيرتين من الإسلام، والإسلام يأمر بهما.

ثم تابع الشيخ الانصاري «قدس سره» كلامه قائلاً:

نعم، اني أتبعتُ أسلوب الزهد والبساطة في كل شيء

لأعكس من خلال اسلوبي هذا إلى الناس زهد الإسلام وبساطته، واتبع الشيخ صاحب الجواهر «قدس سره» أُسلوب التأنّق والجمال في كل شيء ليعكس من خلال أُسلوبه ذلك إلى الناس عظمة الإسلام وعزّته، وكرامة أتباعه ومنعتهم وخاصة مقابل العثمانيين الذين يريدون فرض سيطرتهم على الحوزات العلمية ومصادرة استقلاليتها.

ثم أضاف الشيخ الأنصاري «رحمة اللّه عليه» قائلاً: فكلا الأسلوبين من الإسلام، والإسلام يأمر بهما، كما دلّ عليه قوله سبحانه: **﴿ومنهم من يقول ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أُولئك لهم نصيب ممّا كسبوا﴾**.[1]

ودلّ عليه قوله ﷺ: «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً».[2]

---

(١) سورة البقرة: ٢٠١.

(٢) من لايحضره الفقيه: ٣/١٥٦.

وحيث ان الأئمة المعصومين عليهم السلام حملة الدين وحفظته، ولذا ساروا بالسيرتين، وكذلك العلماء الذين هم الوكلاء العامّون للأئمة المعصومين عليهم السلام فإنهم يعملون بالأسلوبين حيث لاتضاد ولاتناف بينهما، وهنا اقتنع المستشكل بالجواب.

كان هذا جانباً من وفاء العلماء وصفائهم الكبير بالنسبة إلى بعضهم البعض، والذي مثّله الشيخ الأنصاري «قدس سره» بالنسبة إلى الشيخ صاحب الجواهر «قدس سره»، وأما ما أبداه الشيخ صاحب الجواهر من الوفاء والصفاء بالنسبة إلى الشيخ الأنصاري، فحدّث عنه ولا حرج.

فإن الشيخ صاحب الجواهر ـ على ما قيل ـ أيّد الشيخ الأنصاري تأييداً مطلقاً، فقد دعاه في مرض موته وعنده أعلام تلاميذه ممّن بلغ الإجتهاد، وحصل على أرقى الدرجات، وجعله من بينهم المرشح الوحيد للمرجعية، وأشار إلى انه المؤهل الكفوء دونهم لتصدّي الزعامة الدينية

العامة، والقيام بشؤون المرجعية العليا من بعده، فاتفقت على الشيخ الأنصاري كلمتهم، وكان هو الآخر أهلاً لهذا المنصب الإلهي في علمه وتقواه، وورعه واجتهاده، وإحاطته بالأمور ورعايته لها.

كما وثبت بذلك حسن انتخاب الشيخ صاحب الجواهر «قدس سره» وبُعد نظره، وسعة أُفقه، وشدة إخلاصه في عمله هذا، وأعطىٰ من خلاله درساً بليغاً في الوفاء والصفاء، وعظة بالغة في قدسية المرجعية والزعامة الدينية.

ومن المعلوم: انه إذا عمّ الوفاء والصفاء الزعماء والرؤساء عمّهم اللّه برحمته ولطفه، وإحسانه وبركته، فعاشوا وكذلك مجتمعهم بأمن وسلام، وسعادة وهناء.

وفّقنا اللّه جميعاً لما يحبّ ويرضىٰ وجعلنا من أهل الوفاء والصفاء إن شاء اللّه تعالى.

في متناول الناس

قصّ علينا ابن عمّنا في النسب آية اللّه العظمى السيد ميرزا عبدالهادي الشيرازي «قدس سره» قائلاً:

لقد عاشرنا الميرزا الشيرازي الكبير «قدس سره» ـ المعروف بصاحب التنباك، والذي كان يقطن في سامراء المشرفة عند مرقدي الإمامين العسكريين عليهما السلام، وبيت الإمام المهدي عليه السلام ومحل غيبته «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف»، والذي أسس فيها الميرزا مشاريع اجتماعية ودينية، وعلى رأسها المدرسة العلمية الضخمة التي أبادها حزب البعث أخيراً بأمر من أسيادهم المستعمرين ـ برهة قصيرة من الزمن، فرأينا منه العجائب والكرامات، والتفاني في سبيل اللّه،

والتضحيات من أجل خدمة الإسلام والمسلمين، حتى عندما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو على فراش الموت والإرتحال من هذه الدنيا.

وذلك انه «قدس سره» عندما تمرض بمرض الموت، أصابه ضعف بالغ، ونقاهة شديدة، مما دعىٰ أصحابه ومن يخصهم أمره أن يحولوا بينه وبين مزاولته الأعمال الإجتماعية، فسبّب ذلك عدم تمكّن المراجعين وأصحاب الحاجات من الوصول إليه وعرض مسائلهم وحوائجهم عليه، فكان الوافدون يتجمّعون كل يوم، في ديوان الميرزا وهم يأملون تحسّن أحوال الميرزا، وإفاقته من مرضه، علّهم يستطيعون التشرّف بلقائه، والوصول إلى ما يريدونه من حوائجهم ومسائلهم الشرعية.

فكان يحدث على اثر اجتماعهم صخب شديد وضوضاء كبير، مما ألفت يوماً توجّه الميرزا، فتسائل من ممرّضيه قائلاً: ما هذه الاصوات التي أسمعها، وكأنها قريبة

منا، هل ان أحدا له حاجة أو مسألة يريد أن يسألني عنها؟

قالوا وهم يراعون جانب الإحتياط له: نعم، ان جماعة من مقلّديكم يزعمون انهم جاءوا لزيارتكم من مناطق بعيدة ومن مختلف البلاد الإسلامية وهم يريدون لقائكم والتشرّف بخدمتكم، لكن مرضكم الشديد ونقاهتكم الكثيرة هي التي صارت سبباً للحيلولة بينهم وبين لقائكم، وهم كل يوم يتجمّعون في الديوان ويدعون اللّه لشفائكم، ويأملون الوصول إليكم واللقاء بكم، وقد طال على بعضهم الأمد، ويريدون الرجوع إلى أوطانهم، فما يمنعهم من العودة إلا عدم تشرّفهم بزيارتكم، وعلى أثر تجمّعهم في الديوان واشتغالهم بالتضرّع والدعاء يعلو صهبهم ويصل ضوضاؤهم إلى الداخل.

عندما تمّ كلام ممرّضيه، رفع الميرزا رأسه والتفت إليهم بكل شفقة قائلاً: اسمحوا لهم بالدخول وعرض حوائجهم ورفع مسائلهم الشرعية، ولا تدعوا أحداً منهم يريد الدخول

علي إلا أذنتم له.

فخرج أحدهم ووقف على الناس المتجمّعين في الديوان وقال لهم: تعلمون انّ سماحة الميرزا في حالة نقاهة شديدة، وان مرضه لم ينفك عنه بعد، لكنه لمّا علم بتجمّعكم لزيارته، وعزمكم على العودة إلى أوطانكم الا ان حوائجكم إليه، ومسائلكم الشرعية منه هي التي عوقتكم عن ذلك، أذن لكم بزيارته، ورفع حوائجكم إليه وعرض مسائلكم عليه، غير اني أُوصيكم بالرفق به، وتخفيف أسئلتكم، وتقليل حوائجكم، مراعين في ذلك كله الهدوء والسكينة اشفاقاً منكم عليه.

فرح المجتمعون من إعلان هذا الخبر، وأخذوا يدخلون عليه واحداً بعد واحد فيسلّمون عليه ويقبّلون يديه ويضعون الحقوق الشرعية التي معهم، والأسئلة التي كانت عندهم بين يديه حتى اكتضت الدار بهم.

كل ذلك والميرزا مستند إلى أحد ممرّضيه ومتكيء علىٰ

صدره، لايطيق الجلوس بوحده، ولايستطيع الإستقبال اللائق من زائريه والوافدين عليه، غير انه كان يشير إليهم بالإعتذار ويطلب منهم بحركاته العفو الجميل.

هذا والناس سكوت حتى كأنّ على رؤوسهم الطير، ينظرون إلى ما بمرجعهم من مرض، ويرون ما فيه من نقاهة وضعف، ويتأسّفون على انهم لايقدرون من معالجته والدفع عنه، ويذيب قلوبهم عندما يرونه يعتذر إليهم عبر اشاراته، ويطلب منهم العفو طيّ حركاته، وهم لايستطيعون من الإجابة على عواطفه، وشكر مواقفه إلا بكفكفة دموعهم، وتمتمة شفاههم بالدعاء له وطلب الشفاء من اللّه تعالى له، وبعد أن قدّموا إليه حقوقهم وحوائجهم وتزوّدوا من رؤيته ودّعوه بقلوب حرّى وعيون باكية وانصرفوا من عنده.

ثم ان الميرزا أخذ يثقل مرضه ويشتد ضعفه، حتى كان اليوم الثاني من زيارة هؤلاء الجماعة له، وفي الصباح المبكر أخذ الزائرون يتجمعون في الديوان كعادتهم السابقة ليستلموا

حوائجهم، ويأخذوا جواب أسئلتهم، ووصولات حقوقهم الشرعية التي قدّموها له، وعندما كمل تجمّعهم كثر صخبهم وعلا ضوضاءهم حتى وصل إلىٰ مسامع الميرزا.

فتسائل الميرزا عن ذلك، فقيل له: ان الذين تشرَّفوا بزيارتكم في اليوم الماضي قد تجمعوا اليوم من جديد وهم يريدون أجوبة مسائلهم وقضاء حوائجهم ووصولات حقوقهم الشرعية التي قدموها لكم بالأمس.

التفت إليهم الميرزا وأشار إليهم بأن يأذنوا لهم بالدخول عليه ـ وهو في شدة مرضه وغاية نقاهته وضعفه ـ وذلك لاستلام أجوبتهم ووصولاتهم.

تعجَّب الحاضرون وقالوا اشفاقاً بحاله: يا سماحة الميرزا هذا أمر شاق عليكم، وثقل مرضكم لايسمح لكم بإنجازه، فكيف نأذن لهم بالدخول عليكم؟

أشار الميرزا: بأنه لابأس بذلك، ءأذنوا لهم بالدخول عليّ، فإن اللّٰه يعينني عليه إن شاء اللّٰه تعالى.

نزلوا إلى أمر الميرزا وأذنوا للمتجمعين بالتشرف إلى زيارة الميرزا واستلام أجوبتهم ووصولاتهم وطلبوا منهم أيضاً كما طلبوا منهم بالأمس رعاية الهدوء والوقار ارفاقاً بالميرزا واشفاقاً عليه.

فدخلوا على الميرزا واحداً تلو الآخر بكل هدوء وسكينة والميرزا لثقل مرضه وشدة حاله نائم في فراش علّته وممرّضوه محدقون به.

فكان كل واحد منهم عندما يقع نظره على الميرزا ويرى حاله تنهمر دموعه على خدّيه، فيأتي إليه وهو لايتمالك عبرته، فيسلّم عليه ويقبل يديه ويبلّها بدموعه ويقول له: كذا كانت حاجتي ومسألتي، وكذا كان مبلغ حقوقي الشرعية.

والميرزا بعد أن كان يشير إليه بالتحية والإعتذار يمدّ يده تحت فراشه ويخرج له جواب مسائله ووصلاً باسمه أو باسم صاحب الحق وفيه مقدار ما دفعه من الحقوق الشرعية، وانه كان خمساً، أو سهم إمام، أو زكاة، أو غير ذلك، ويقدّمه

إليه ويشير إليه بالوداع والإعتذار.

ثم يأتي الثاني فيستلم ما كان يخصه، ويأتي الثالث والرابع والخامس وهكذا، إلى أن استلم الجميع ما كان يخصهم من حوائجهم وجواب أسئلتهم، ووصولات حقوقهم الشرعية، وانصرف كل منهم إلى بلادهم، وقد حملوا معهم ما تعلّموه من الميرزا عن سعة الصدر، ورحابة النفس، وحب الآخرين، وخدمة الإسلام والمسلمين، وكونه في متناول الناس حتى اللحظات الأخيرة، وإلى آخر أنفاسه من الحياة.

ثم أضاف سماحة آية اللّه العظمى السيد ميرزا عبدالهادي الشيرازي «قدس سرّه» قائلاً:

وكان هذا الذي حدث من الميرزا «رضوان اللّه تعالى عليه» بالنسبة إلى الزائرين والوافدين عليه مع ما كان عليه من ثقل المرض وشدة الضعف مثار تعجّب الجميع، حيث رأوا ان ذلك من كراماته رضوان اللّه تعالى عليه، ومن الخوارق

بالنسبة إليه، وإلا، فإنه ليس من السهل، بل ولا من الامور العادية قضاء حوائج مثل هؤلاء الجماعة على كثرتهم، والجواب على أسئلتهم وكتابة وصولاتهم والتوقيع عليها في مثل هذا المقدار من الوقت القليل.

وهذه القصة ـ على ما مرت ـ تدل على علوّ مقام الميرزا عند اللّه وعند أوليائه المعصومين «صلوات اللّه عليهم أجمعين» حيث تمكن من هذه الكرامة، ولكن يجب أن نعلم ان الميرزا الكبير وإن كان من أُسرة دينية عريقة، ومن بيت معروف بالتديّن والتقوى، الا ان والده كان تاجراً من تجّار مدينة «شيراز» فلم يكن والده عالماً ولا خطيباً ولا مؤلّفاً وانما كان كاسباً مؤمناً وتاجراً متديّناً في مدينة شيراز المعروفة، جعل ابنه في طريق اللّه سبحانه وتعالى وقدّمه له، فتقبّله ربّه بقبول حسن وأنبته نباتاً حسناً.

فإذا كان هناك من يرى نفسه كاسباً وانه ليس من أهل العلم، فيظن ان ابنه ـ مثلاً ـ لأجل ذلك لايليق بهذا المقام،

فليتذكر الميرزا الكبير ويتذكر والده وما كان عليه من الإخلاص في العمل في سبيل اللّه تعالى وليعلم بأن الإنسان إذا أخلص للّه سبحانه وتعالى وجعل عمله للّه وفي سبيل اللّه، وخاصة إن كان عمله مثل ما لو جعل ابنه طالباً للعلوم الدينية وتلميذاً في الحوزات العلمية، فإن اللّه سيتقبله منه، وينبته نباتاً حسناً إن شاء اللّه، فإنه: «ما كان للّه ينمو».

وفي الحديث القدسي: «من تقدّم إليّ شبراً تقدمتُ إليه باعاً ومن تقدّم إليّ باعاً تقدمتُ إليه ميلاً».[1]

فنسأل اللّه أن يوفّقنا جميعاً لما فيه رضاه، وأن يجعلنا من المخلصين له، والعاملين في سبيله إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ٣/٣١٣ ح ٦ بيان.

من مواصفات قائد ثورة العشرين

الحديث عن شخصية دينية وقياديّة كشخصية الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي «قدس سره الشريف» ليس من السهل اليسير، بل الحديث عن مثله صعب وعسير جداً، وذلك ان الميرزا استطاع أن يقوم بعمل جبّار، يعجز غالباً عن القيام بمثله أصحاب القدرات المادية والسلطات الدنيوية، انه استطاع أن يوحّد العراق من شماله إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه، وأن يجعله كتلة واحدة، وقاعدة صامدة، فيحطم به غرور المستعمرين وينسف عبره كبرياءهم، ويذلّ بسببه عزهم، ويدك بوسيلته حصونهم وقلاعهم، ويطردهم من العراق أرض المقدّسات، مثقلين بالخسائر الفادحة في الأنفس والمعدّات.

وما ذلك إلا لما كـان يحمله «قدس سره» بين جنـبيه : من نفـس كبـيرة، وروح عـظيـمـة، وصـدر واسع، وخُلق كـريم، اضافـة إلى ما كان يتـحلّىٰ به من علم وحلـم، وورع وتقوىٰ، وزهد وقـناعـة، وسـيـاسـة وكـيـاسـة، حـتى وثـق النـاس به واعتـمدوه، وأحـبّوه وأطاعـوه، واحتـفّوا به وأعانوه فـي انجاز مـهـمّته، وتحـقـيق أهدافـه، الا وهـو محـاربة المحتلـين الانجليـز وطردهم من العراق ، وانهاء احتلالهم العسكري.

بين العدالة والعصمة

وكان هـذا العالم الجليـل والشيخ الكـبير خـالاً لوالدي[١] وأُسـتاذاً له، فـكان يرتبـط به بالإضـافة إلى رابـطة التلـمّذ التي هي رابطة وثيقة وقوية في نفسها رابطة القرابة والنسب أيضاً.

(١) وهـو سماحـة آية اللّه العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي «أعلى اللّه مقامه».

ولذلك كان والدي يعرف عنه الكثير من خصوصياته، والجميل من أخلاقه وسيرته، وقد نقل لي وبعض آخرون من تلاميذه عنه «قدس سره» قضايا عجيبة، ومن جملتها ما نقله آية اللّه الشيخ محمد كاظم الشيرازي «قدس سره»، فإنه قال:

كان إذا سأل أحد عن عدالته أُجيب: بأن عليك أن تسأل عن عصمته لا عن عدالته، وطبعاً لايقصد بذلك العصمة الكبرى الموجودة في المعصومين عليهم السلام وانما يقصد بذلك العصمة الصغرى الموجودة في أمثال سلمان وأبي ذر وأضرابهم.

هذا وقد نقل لي والدي عنه «قدس سرهما»:

بأنه كان زاهداً بتمام معنى الكلمة، فلم يكن يلاحظ خصوصيات مأكله ومشربه وملبسه ومنامه وانما كان يرضى بما قسم اللّه تعالى له.

ولما احتل الانجليز العراق لم يتمكّن أحد من القيام في

وجههم إلا هذا العالم المجاهد الذي ضحى بكل شيء في سبيل اللّه تعالىٰ من أجل إنقاذ العراق من تحت وطئة المحتلّين، وقد وفّقه اللّه سبحانه لذلك حيث عرف منه الإخلاص وصدق النيّة وحيث كان في قمّة من الحزم والعزم، وقوّة من الإرادة والإدارة.

وقد شكل «قدس سرّه» في كربلاء المقدسة المجلس الثوري الأعلىٰ لإدارة شؤون العراق، وتشكيل هذا المجلس يعني ادارة دولة في حالة حرب، لا إدارة دولة في حالة استقرار وأمن.

فقد عقد مجلس الوزراء، ومجلس الإستشارة، ونظّم ما يرتبط بالأمور المالية والإقتصادية، وما يتعلّق بأُمور الجيش والشرطة، وقرّر كل ما يتطلّبه نظام الدولة والحكومة كما ينبيء عن ذلك ما أُلّف من كتب كثيرة في شأن الثورة العراقية التي خاضها الشعب العراقي الأبي بقيادة علمائه الأعلام وعلى رأسهم الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي «قدس سرّه»

وانه كيف استطاع من تسخير كل القوى العراقية، وتجنيد كل الشعب لمواجهة المحتلين الانجليز.[1]

ومن المعلوم : ان الانجليز كانوا يسمون أنفسهم في ذلك اليوم بالسياسيين الظافرين، كما كانوا يسمون بلادهم ودولتهم بدولة بريطانيا العظمى يعني: انهم كانوا يعيشون في حالة غرور، وكانوا يرون أنفسهم في غاية العزّة والعظمة، لأنهم كانوا قد احتلوا قسماً كبيراً من بلاد العالم وفرضوا سيطرتهم على شعوبها، فقد استعمروا الهند والصين وايران والعراق والخليج ومصر وسوريا وجملة من بلاد الافريقية وغيرها، وكانوا يمتلكون الطائرات الحربية والأسلحة المتطوّرة مما لم يمتلكها مثل العراق، وكانوا بالإضافة إلى ذلك يملكون جيشاً نظامياً مجهّزاً بأنواع الأسلحة والمعدّات الحربية، ومدرّباً على استعمال كافة السبل والتخطيطات العسكرية، مما لم يكن العراق يملك شيئاً من هذه الأمور، كما كانوا من حيث

---

(١) راجع كتاب «الحقائق الناصعة».

العدد والنفوس أضعاف مضاعفة بالنسبة إلى نفوس العراق وشعبه وعشائره الدين لم يملكوا سوى الأسلحة العادية، ولم يعرفوا إلا الأساليب القديمة، فلا جيش نظاميّ لهم، ولا طائرات حربية عندهم، ولا أسلحة متطوّرة فتاكة، ولا شيء مما يمكن عقد أمل النصر عليه من الأمور المادية لديهم.

ومع ذلك كله استطاع هذا العالم الجليل وبهذا العدد القليل والعُدة البسيطة، لكن بالتوكّل على اللّه سبحانه وبذل الجهد في سبيله أن ينتصر على المحتلين الانجليز، وأن يطردهم من أرض العراق، ولا عجب فقد قال اللّه تعالى: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللّه واللّه مع الصابرين**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وان اللّه لمع المحسنين**﴾[2].

وكان كما وعد اللّه، فقد تمكّنوا من انقاذ العراق من

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

الإحتلال السافر، وارغام الانجليز للنزول إلى مطاليبهم المشروعة والتي كان من أهمهما أن يكون للعراق حاكم اسلامي ودولة اسلامية تحكم باسم الإسلام، وتعمل بالإسلام.

ولكن تم ذلك بعد أن ضحّىٰ في سبيل اللّه ولتحقيق هذه القضية بخيرة من رجال الدين ورجال العشائر.

كما وتمّ علىٰ أثر هذه القصة تسفير علماء كثيرين من جملتهم:

ابن الميرزا وهو: الشيخ محمد رضا الشيرازي، والسيد هبة الدين الشهرستاني، والسيد محمدعلي الطباطبائي، وغيرهم.

وبالتالي كان الشيخ نفسه هو الآخر ضحية هذه القضية.

فقد تمكن الأعداء من أن يدسوا السم إليه ويقضوا علىٰ حياته.

وذلك علىٰ ما نقل لي أحد تلاميذه المبرزين وهو المرحوم

السيد مرتضى الطباطبائي «قدس سره» فإنه قال:

تدهورت فجأة صحة الشيخ فأخذ يقذف من فيه كميات كبيرة من الدم مما دل على تسمّمه حيث مات على اثر ذلك مسموماً شهيداً.

أشداء على الكفار رحماء بينهم

ومما حكي عن الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي «قدس سره» ما نقله رئيس بلدية كربلاء المقدسة، في أيام الإحتلال، وهو المرحوم الشيخ هادي، وكان شيخاً عشائرياً، لا شيخاً مصطلحاً بمعنىٰ رجل دين، فإنه قال: انه بعد ما أعيت الإنذارات التي أبلغها سماحة الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي «قدس سرّه» إلى الانجليز، وبعد أن أيس من الطرق السلمية في اخراج المحتلين البريطانيين، التجأ سماحته إلى المجابهة العسكرية، وإلى إصدار فتوىٰ بوجوب قتالهم وإخراجهم من العراق بالقوّة، فهبّ الشعب العراقي بكامله ضد الإحتلال، وعكّر الأجواء على المحتلين الغاصبين وضيّق الخناق عليهم، وهدّد مصالحهم.

فأخذ البريطانيون يخططون للإحتيال على سماحة الشيخ ويفكّرون في احتوائه واحتواء الثورة عبر طرح التفاوض معه، وبهذا الصدد أوفدوا من لندن الحاكم العسكري العام ليلتقي بالشيخ ويتفاوض معه.

قال الشيخ هادي: وجعلوني الوسيط بين سماحة الشيخ وبين الحاكم العسكري العام، فجئتُ والتقيتُ بالشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي «قدس سرّه» وأخبرته بوفود الحاكم العسكري العام إلى العراق، وانه يريد اللقاء به والتفاوض معه، ممثلاً عن الحكومة البريطانية، ثم أردتُ منه تعيين وقت لذلك، لكن ما راعني إلا أن رأيتُ سماحة الشيخ علىٰ رحابته وسعة صدره يواجهني بالرفض البات لملاقاته، ولم يقبل نهائياً لتعيين وقت لذلك، فرجعتُ وأخبرتُ الحاكم العسكري العام بما جرىٰ مع الشيخ ورفضه التام للقائه معه.

لكن حيث كان هذا الموفد مصراً على اللقاء بسماحة الشيخ قال: إذن لابدّ من أن نلتقي به لكن ذلك بلا تعيين

وقت مسبق.

قال: فأخذتُ أُفكّر في تمهيد ذلك معتمداً على مجاملة سماحة الشيخ مع الوافدين عليه والملتقين به، ولذلك فكرتُ في أن أزور الشيخ أنا أولاً وبعد أن يستقرّ بي المكان، وأستمر مع سماحة الشيخ في الكلام، يدخل علينا الحاكم العسكري العام ويستلم مني زمام الكلام مع سماحة الشيخ ويتفاوض معه فيما جاء فيه إليه، وهكذا جعلنا القرار.

قال الشيخ هادي: قمت وجئت إلى سماحة الشيخ، فالتقاني الشيخ علىٰ عادته ورحَّب بي، وأمر لي بالشاي والشربت، ثم أخذ يتفقّدني ويسأل عن حالي، وفي الأثناء ـ وعلى ما قرّرنا الأمر ـ دخل الحاكم العسكري العام وبلا سابق انذار على سماحة الشيخ.

فالتفتُّ أنا إلى الشيخ وقلتُ له: شيخنا هذا الوارد الذي دخل عليكم لتوّه هو الموفد من لندن للمفاوضة مع سماحتكم، ثم قمت له لأوسّع له المكان حتى يجلس إلىٰ

جنب الشيخ.

لكن ماهالني إلا أن رأيتُ الشيخ يتجاهل الأمر حتى كأن لم يدخل عليه أحد، فلم يتحرك من مكانه، ولم يلتفت إليه أبداً، بل أطرق برأسه إلى الأرض وأخذ ينكتها بيده وكأنه يفكّر حول مسألة مهمّة جداً لاتدعه يشتغل لشيء سواها، وبذلك سدّ الطريق علىٰ أن يكلّمه أحد، كما انه لم يشر إلى أن يأتوا له بشاي أو شربت، وكلما حاولت مقاطعة ما فيه سماحة الشيخ من انغلاق وتفكير منعتني هيبته عن ذلك.

بقي الشيخ وبقينا معه مدة وكأنّ على رؤوسنا الطير، أنظر إلى الحاكم العسكري العام، والحاكم ينظر إليَّ وهو يصفرّ مرة ويحمرّ أُخرىٰ حيث كان يرىٰ نفسه وقد باء بالفشل الذريع، وفشلت مهمته معه أيضاً ولم يدر ما يفعل، وأخيراً أشار إليَّ بأنه يفكر في الإنصراف وتأجيل مهمته، فقام وانصرف وهو يجر ذيول الفشل والخيبة عما كان يطمع على حصوله من الشيخ.

هذا وسماحة الشيخ لم يقم له، ولم يكلمه بكلمة أبدا، غير انه لما خرج الحاكم العسكري العام من عند الشيخ، رجع الشيخ إلىٰ ما كان عليه مع ضيوفه من قبل، فأقبل عليَّ وكأن لم يكن شيئاً وأخذ يسألني عن حالي من جديد.

فانتهزتُ الفرصة وقلت لسماحته: انكم يا سماحة الشيخ تقابلون ضيوفكم بالرحب والسعة، وتقابلوني أيضاً بهذه المقابلة الحسنة، فلماذا قابلتم الحاكم العسكري العام والممثل الرسمي للدولة البريطانية بهذه المقابلة الصلبة؟

أجابني الشيخ قائلاً: انك رجل مسلم وأنت أخي في الدين، ولذا يجب عليَّ احترامك مهما كان اتجاهك، أما هذا الرجل فهو ليس بكافر فحسب، بل هو كافر محارب، يريد من خلال التفاوض معي وباسم المفاوضات كيد المسلمين واحتواء ثورتهم العارمة، ولذلك لايحقّ لي جوابه ولا التكلّم معه، لأن في ذلك افساحاً للمجال أمامه وأمام البريطانيين المحتلين لتحقيق نواياهم.

هذا ولا يخفىٰ ان سماحة الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي «قدس سره» قد اقتدىٰ في أُسلوبه هذا مع الموفد البريطاني المحارب للمسلمين، بأُسلوب رسول اللّه ﷺ مع أبي سفيان المحارب للمسلمين حيث جاء إلى المدينة ـ على ما في التاريخ ـ للإلتقاء برسول اللّه ﷺ وعقد معاهدة معه وكان ينوي من خلالها كيده وكيد المسلمين معه، إلا ان أُسلوب رسول اللّه ﷺ معه أفشل مخطّطه وكيده.

ثم أضاف رئيس بلدية كربلاء المقدّسةقائلاً:

ودّعت سماحة الشيخ «قدس سرّه» وخرجت من عنده، وأنا متأثر مما جرىٰ، لكني قد ارتحت كثيراً وزال عني تأثري عندما التقيتُ بالحاكم العسكري العام وسمعته يقول: ما أعظم هذا الشيخ وما أكبره؟ ان فيه قدسية المسيح عليه السلام وهيبته، وفطنته وكياسته، لقد أفشل بموقفه هذا كل ما خططناه لاحتوائه واحتواء الثورة وما رُمنا تحقيقه باسم المفاوضات وعبر التفاوض معه، ثم قال: ان هذا سراً بحناه

لك فلا تفشه لأحد.

ثم واصل رئيس بلدية كربلاء المقدسة كلامه قائلاً: لقد رأيت في سماحة الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي «قدس سره» مصداقاً حياً لقوله تعالى: ﴿**أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم**﴾[1] فقد كان عظيماً في نفسي فازداد بعد ذلك عظمة عندي، وصرت أُقدّره بعد هذا أكثر مما كنت أُقدّره من ذي قبل، وكنت أراه أهلاً لقيادة أمة، وكفوءاً بإنقاذها من وطئة المحتلين، وهكذا كان، فقد نصر اللّه على يديه الشعب العراقي الأعزل، وطرد الانجليز المحتلين، والحمد للّه رب العالمين.

---

(١) سورة الفتح: ٢٤.

الحياء من الايمان

ونقل لي والدي «رحمة اللّه عليه» أيضاً عن عمي السيد ميرزا عبداللّه الشيرازي «رحمه اللّه» وكان ملازماً لهذا العالم الجليل:[1]

بأن الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي «قدس سره» كان في غاية الحياء وقمته، بحيث انه لم تقع عينه في عينه، ولم ير داخل عينه طيلة أكثر من عشرين سنة التي عاشره فيها، وذلك لكثرة حياء الشيخ وشدته بحيث جعلته غاضاً لطرفه دائماً، منكّساً لرأسه غالباً، مشغولاً بالتفكّر الدائم، ومرطّباً

(١) أي: آية اللّه العظمى الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي «قدس سره».

شفتيه بذكر الله سبحانه وتعالى.

كما انه لشدّة حياته ـ على ما نقله لي والدي رحمة اللّه عليه ـ لم يكن يأمر أحداً في حاجة شخصية له اطلاقاً.

وهذا أمر يسهل نقله وسمعه؛ ولكن يصعب تطبيقه وتحقيقه، فلا يقدر عليه أحد إلاّ بعد طول مجاهدة، وكثرة ممارسة، وبعد عناء بتربية النفس واعتناء بتهذيبها.

وفّقنا اللّه سبحانه لما يحبّ ويرضى، وأخذ بأيدينا لخدمة الإسلام والمسلمين ولنشر ثقافة أهل البيت «صلوات اللّه عليهم أجمعين».

قم المقدسة

محمد الشيرازي

٣

من تقوى العلماء

آية اللّه العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين
وصلى اللّه على محمد وآله الطيّبين الطاهرين
ولعنة اللّه علىٰ أعدائهم أجمعين

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وبعد: ليس الإنسان في الدنيا إلاّ عابر سبيل، وان المستقر ودار القرار هي الدار الآخرة، فاللازم علينا أن نعمل لتلك الدار التي جعلها سبحانه للذين لايُريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين، وطريق العمل هو الإقتداء بالرسول ﷺ وبأهل بيته الطيّبين الطاهرين عليهم السلام وبالعلماء العاملين الذين احتذوا حَذوهم وساروا على هداهم، ولكي نقتبس من نورهم نذكر القصص التالية المنقولة عنهم.

واللّه المستعان

محمد الشيرازي　　قم المقدسة

منك الفتوى ومنا التسديد

هذا وسام عظيم منحه الإمام المهدي الحجة بن الحسن «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف» للشيخ المفيد «قدس سره»[1] وذلك في قصة ظريفة نقلتها كتب التاريخ

(١) ولد رحمه اللّه ببغداد سنة ٣٢٨هـ، وتوفى لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ عن عمر يناهز السادسة والسبعين، واشترك في تشييع جثمانه ثمانون ألف نسمة، وأدّى الصلاة علىٰ جثمانه الشريف المرتضى بميدان «الاشنان» ببغداد حيث ازدحم بالمصلّين علىٰ سعته، وورىٰ جثمانه الثرى في جوار الإمامين الكاظمين عليهما السلام بمدينة الكاظمية، حيث مزاره الآن.

نقلاً عن كلمة الإمام المهدي عليه السلام ص ١٣٩ لآية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي «قدس سره».

والرجال والسير، والقصة وردت بعبارات مختلفة ننقل عبارة منها وهي:

انه جاء ذات يوم، أحد مقلّدي الشيخ المفيد «قدس سره»إلى الشيخ يستفتيه في أمر مهم ويقول له: ان لنا امرأة قد توفيت الآن وهي حامل والجنين يضرب في بطنها، فماذا نصنع بها مع انا نعلم بأن الجنين حي بعد في رحمها؟

أجاب الشيخ المفيد «قدس سره» المستفتي قائلاً: اذهبوا وادفنوا المرأة على حالها.

ذهب الرجل ومرت الأعوام والسنين وانقضت على هذه القصة مدة طويلة وفي يوم والشيخ متكيء على اريكة التدريس وهو يتأهب لإلقاء الدرس وإذا بشاب وسيم يدخل المجلس ويشترك في الدرس.

وبعد انتهاء الدرس قال الشاب للشيخ: أنا ذلك الذي أفتيتم في حقه بفتوائين، وكانت فتواكم الثانية هي التي أنقذتني من الموت، فلكم حق الحياة عليَّ، إذ حياتي مرهونة

لكم.

تعجّب الشيخ من كلام هذا الشاب وقال له: لو فصّلت لي قصتك، فإني بعيد العهد عنها؟

فبدأ يقص على الشيخ قصته قائلاً: لقد ماتت أُمي وأنا حمل في بطنها وبي رمق في الحياة، فأرسلوا إلى جنابكم مَن يسألكم عن المسألة فأفتيتم بأن تدفن المرأة مع الجنين الذي في بطنها.

ولمّا جهزوا المرأة وأرادوا وضعها في القبر جاء رسول من قبلكم يقول: ان الشيخ يبلغكم السلام ويقول لكم: إن كان الجنين حيّاً يضرب في بطن أُمه فلا تدفنوا الأُم، حتى تشقّوا بطنها وتستخرجوا الجنين منه.

وهكذا فعلوا، فإنهم استخرجوني أولاً ثم دفنوها بعد ذلك، ومنّ اللّه تعالى عليَّ بالبقاء حتى ترعرعت وكبرت، وبعد أن تعلّمت القراءة والكتابة وتقدمت في المراحل العلمية توفقت للحضور والمشاركة في درسكم، لأكون رهين

معنوياتكم وفضلكم روحا بعد أن كنت رهين فتواكم وتدارككم جسماً.

نعم كان الشاب يقص على الشيخ قصته والشيخ يستمع إليه بكل وجوده حتى إذا انتهى الشاب من قصته وأتىٰ على آخرها شكره الشيخ على ذلك وحمد اللّه علىٰ سلامة الشاب وخلاصه من الموت، ولم يزد عليه شيئاً، غير انه خلىٰ بعد ذلك بنفسه وأخذ يفكر في القصة وانه من كان ذلك الرسول الذي أخبرهم باستخراج الجنين؟ ومن الذي أرسله؟

وأخيراً تيقّن ان الرسول كان من قبل الإمام المهدي الحجة بن الحسن المنتظر «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف» لأنه لم يرسل إليهم أحداً.

كما وتيقّن أيضاً بأنه قد أخطأ عندما أفتاهم بأن يدفنوا المرأة مع الجنين الحي في بطنها، وخوفاً من تكرّر الخطأ، عزم على أن يترك الدرس والبحث، وأن يعتزل عن جواب الأسئلة وإفتاء الناس حتى لايقع في خلاف الواقع، ولذلك

جلس في داره وأغلق عليه بابه زهدا وتقوى، وتورعا عن القول بما لايطابق الحق والواقع.

مع العلم بأن الشيخ المفيد «قدس سره» كان قد أفتاهم بما توصّل إليه نظره الإجتهادي، والمجتهد إذا أفتى بحسب اجتهاده وأخطأ من غير تقصير، فله أجر واحد وهو: أجر الإجتهاد،وإذا أصاب الواقع فله أجران: أجر الإجتهاد وأجر اصابة الواقع وذلك حسب ما ورد في بعض الروايات.

فلما جلس الشيخ المفيد «قدس سره» في داره وأغلق عليه بابه وامتنع عن الفتوىٰ وجواب الأسئلة جاءه كتاب يحمل توقيع الناحية المقدسة يعني: عن الإمام المهدي الحجة ابن الحسن «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف» وفيه: «أيها الأخ السديد الشيخ المفيد!»[1]... « منك الفتوى ومنا

(١) راجع بحار الأنوار ٥٣/١٧٤ ح ٧ ط بيروت وفيه: «للأخ السديد والولي الرشيد الشيخ المفيد».

التسديد». [1]

وما أن وقع نظر الشيخ المفيد على هذا التوقيع الشريف وفهم ما فيه إلا واغرورقت عيناه بالدموع وأجهش بالبكاء شوقاً إلى إمامه ومقتداه الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام وشكراً له على عناياته وألطافه الخاصّة به.

ثم قام وفتح باب داره واشتغل بما كان مشتغلاً به من التدريس والفتوىٰ.

ويقال :

انه عند ما توفى الشيخ «قدس سره» وقف الإمام الحجّة «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف علىٰ قبره وأنبه بهذه الأبيات :

لاصوّت الناعي بفقدك انه
يوم على آل الرسول عظيم

(١) راجع كلمة الإمام المهدي عليه السلام لآية اللّه الشهيد السيد حسن الشيرازي «قدس سره» ص ١٣٨ ط بيروت.

إن كنت قد غبت في جدث الثرى
فالعلـــم والتـــوحيـــد فيك مقيم
والحجة المهـــدي يفرح كلما تليت
عليـك مـــن الـــدروس علـــوم[1]

وفي هذه القصة الطريفة دلالة وافية على اهتمام الإمام المهدي «أرواحنا فداه» بوكلائه العامّين من العلماء المخلصين، كما ويدعو الآباء ويحرّضهم على ادخال بعض أبنائهم إلى المدارس الدينية والحوزات العلمية لتحصيل العلوم الإسلامية فيها علّهم يُصبحوا كالشيخ المفيد «قدس سره» ويكونوا مفخرة لهم وعزاً وشرفاً إلىٰ يوم القيامة إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) راجع كلمة الإمام المهدي عليه السلام ص ١٣٩.

الماء . لا الأحجار الكريمة

من علمائنا الأبرار : الشيخ أحمد المعروف بالمقدّس الأردبيلي «قدس سره» وكان مقدّساً بمعنى الكلمة، وهو الذي ذكروا في أحواله الكرامات الكثيرة والخوارق الجليلة، وقصصه مشهورة، وقد جاءت مدوّنة في كتب الرجال والتواريخ والسير، ونحن نذكر قصة منها وهي:

انه لم يكن في السابق مثل ما هو عليه اليوم من مشاريع مياه وشبكات مائية، بل كان الناس يعيشون على مياه الأنهار والآبار، ويستقون منها بالدلاء، وفي ذات مرة ذهب الشيخ المقدس «قدس سره» إلى البئر ليستقي منها الماء فيتوضأ به ويصلي صلاة الليل، لكنّه لما أخرج الدلو رآه مملواً بدل الماء

بالأحجار الكريمة، فصبها الشيخ المقدس «قدس سره» في البئر وقال بتواضع: ان «أحمد» يريد الماء لوضوئه وصلاته، ولا يريد الأحجار الكريمة لتشغله عن صلاته وعن ذكر ربّه.

ثم ألقى الدلو في البئر، واستقىٰ مرة ثانية وإذا بالدلو يخرج للمرة الثانية مملواً بالأحجار الكريمة نفسها، صبها الشيخ المقدس «قدس سره» في البئر ثانية وقال بتضرّع: يا رب ان «أحمد» عبدك يريد الماء لوضوئه وصلاته، ولا يريد الأحجار الكريمة لتشغله عن ذكرك وعن عبادتك.

ثم ألقى الدلو في البئر واستقىٰ ثالثة، وإذا بالدو يخرج وللمرّة الثالثة مملواً بالأحجار الكريمة، فألقاها الشيخ المقدّس «قدس سره» في البئر ثالثة وهو يردّد قائلاً: رحماك اللّهم، عبدك أحمد يريد منك الماء لتنفّله وتهجّده، وهو يستغيث بك، فأغثه بماء طهور يتوضّأ به.

ثم استقىٰ للمرة الرابعة، وإذا بالدلو في هذه المرّة يخرج مملواً بالماء، فرح الشيخ المقدس «قدس سره» بحصوله على

الماء وأخذ يتوضأ بكل شوق وإقبال، ليمتثل بعدها أمام ربه ويقوم بين يديه للصلاة والعبادة.

وهذه القصة علىٰ صغرها تطلعنا علىٰ أسرار كبيرة كان يتّصف بها الشيخ المقدس «قدس سره»، من زهد كبير، وإعراض عن الدنيا، وإقبال على اللّه تعالى، ونفسية كريمة لاترى الدنيا وما فيها من ثروات ومباهج تعادل شيئاً من ذكر اللّه، والصلاة له، والإيمان به.

ألا ترىٰ الملوك والحكّام المستبدّين مع ما هم عليه من الثروات الطائلة التي احتكروها لأنفسهم دون الشعب، حيث الشعب يقتله الجهل والفقر والمرض، يقيمون المجازر ويجرون أنهار الدم لأجل الحصول على واحد من هذه الأحجار الكريمة، وعلىٰ ما هو أقل منها من المقام والحطام؟

وأليس هذا من الشيخ المقدس «قدّس سرّه» دليل عظم شخصيته وكرامة نفسه؟

لقد أراد اللّه تعالى أن يمتحنه بها كما امتحن بها الملوك

والحكام المستبدين فخرج منها فائزاً رابحا، لا كما يخرج منها الملوك والحكام ـ عادة ـ وسائر طلاب الدنيا خائبين خاسرين، ولا كما يخرج منها أُولئك الذين لو عرض عليهم المال أو المقام نسوا ذكر اللّه، وبالتالي نسوا أنفسهم فكانوا من الخاسرين.

نعم لقد خرج الشيخ المقدّس «قدس سره» منها مرفوع الرأس، مبيّض الوجه، ليقول لنا بصلابة: ان طريق الصمود أمام المغريات، ودليل الإستقامة عند الزلات هو العلم المشفوع بالتقوىٰ، فعلينا أن نحمل أنفسنا على العلم والتقوىٰ وأن نجعل من أبنائنا طلبة للعلم والتقوىٰ حتى يصبحوا كالشيخ المقدس «قدس سره» من أعلام العلم والتقوىٰ ان شاء اللّه تعالىٰ.

هذا ولا يخفىٰ ان في تبديل الماء إلى أحجار الكريمة نوع كرامة إضافة إلى انه كان نوع امتحان أيضاً، وذلك غير بعيد على اللّه تعالىٰ.

فقد ورد في أحوال المسيح عليه السلام ومعجزاته: انه بدل الحصى إلىٰ أحجار كريمة بإذن اللّه تعالىٰ.

كما ورد أيضاً في معجزات نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله انه بدّل الحصى إلى أحجار كريمة بإذن اللّه تعالىٰ وذلك في قصة عبدالرحمن بن عوف عند ما خطب الزهراء عليها السلام، وفي غيرها من القصص الأُخرىٰ.

وهكذا ورد عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام[1] وعن أولياء اللّه المتّقين، فلا غرو من هذه القصة التي اتفقت للشيخ المقدس أعلى اللّه مقامه، فإنه كان من العلماء العاملين، ومن أولياء اللّه المقرَّبين.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ٢٥٤/٤١ ح ١٥، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

استفتاء وجواب

ومما ينقل في أحوال المقدس الأردبيلي «قدس سره» انه كان يتشرَّف بزيارة الإمام المهدي الحجّة بن الحسن المنتظر «عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف» ولقائه، وذلك علىٰ ما ينقله أحد تلاميذه واسمه: «الميرعلاّم»: فإنه قال: كنا قد سمعنا بتشرّف الشيخ المقدس «قدس سره» وانفتاح الأبواب المغلقة لصحن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمامه، ولكن لم نر ذلك بأُمّ أعيننا، فدعتني نفسي للتنقيب والحصول علىٰ ذلك برؤية العين، ففكرت في ملازمته علىٰ طريق خدمته حتى أُوفَّق لمشاهدة ما سمعناه.

وذات ليلة وفي منتصف الليل رأيته قد خرج من الدار

واتجه نحو حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فاتبعت أثره، وسعيتُ في أن لايلتفت الشيخ المقدس «قدس سره» اني في اثره، فأقبل حتىٰ إذا وصل إلىٰ باب الصحن الشريف، وإذا بالباب تنفتح أمامه من دون أن يكون هناك من يفتحها له.

دخل الشيخ المقدس «قدس سره» إلى الروضة المباركة وسلَّم على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وإذا بالجواب يأتيه من داخل الضريح المقدس، ثم كلّم الإمام عليه السلام بكلام وسمع منه الجواب.

وهذا ليس عجباً من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولا من الأئمة المعصومين عليهم السلام فإن الأئمة عليهم السلام امتداد لجدهم الرسول صلى الله عليه وآله في كل شيء إلا النبوّة، ومنها: انهم حجج اللّه على الخلق من دون فرق بين حياتهم وموتهم كما كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله كذلك.

اضافة إلى انهم «صلوات اللّه عليهم أجمعين» استشهدوا في سبيل اللّه كما في الحديث الشريف: «ما منّا إلاّ مسموم أو

مقتول». [1]

وقد قال اللّه تعالىٰ في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿**ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل اللّه أمواتاً بل أحياء**﴾. [2]

فرسول اللّه ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام أحياء وإن كنّا لا نشعر بحياتهم، لكن أولياء اللّه من مثل الشيخ المقدس «قدس سره» يحسّون بذلك ويشعرون به.

قال المير علاّم: ثم ان الشيخ المقدّس «قدس سره» خرج بعد ذلك من الروضة المباركة واتّجه نحو الكوفة وهو ماش، وسرت من ورائه اتّبع أثره، حتى إذا وصل الكوفة قصد المسجد، فدخل المسجد وأنا من ورائه فاتّجه نحو المقام

(١) بحار الأنوار: ٢١٧/٢٢ ب ٩ ح ١٩. وبحار الأنوار: ٤٤ ١٣٩ ب ٢٢ ح ٦.
(٢) سورة آل عمران: ١٦٩.

المعروف بمحراب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فلما وصله صلى فيه ركعتين ثم سمعته يتكلّم أحداً لم أر شخصه، كل ذلك وأنا مختف عن نظره ساعياً إلى عدم التفاته إليَّ.

ثم بعد أن اتمّ كلامه رأيته قام وهو يريد الإنصراف من المسجد، فقمتُ أنا أيضاً وتهيَّئتُ للخروج، فرأيته خرج من المسجد باتّجاه النجف الأشرف، فعلمتُ انه قد قضىٰ ما يريده وهو الآن عازم على الرجوع إلى البيت، وكان كذلك فقد اتجه نحو النجف الأشرف يريد البيت وهو ماش، فاتبعتُ أثره وقد مضىٰ من الليل ساعات واقتربنا من انفجار الصبح.

فلما وصل إلى مدخل البلد وأوشك على الدخول في المدينة المقدّسة وأنا خلفه أخذني السعال فسعلتُ فتوجه الشيخ إلى الوراء ليرىٰ من هو خلفه فرآني، فصاح بي قائلاً: ميرعلاّم؟ قلت: نعم يا سماحة الأُستاذ.

قال: وما تفعل هنا في هذا الوقت المتأخّر من الليل وفي خارج المدينة؟ هل كنتَ قد اقتفيتَ اثري، وإذا كنت كذلك

فمن أين اقتفيت أثري وفي أية ساعة من الليل؟

أجبته بكل تؤدة وهدوء: لقد اقتفيتُ أثرك من حين خروجك من البيت وكنتُ معك في كل الشؤون والأحوال، ورأيتُ بأُم عيني ما كنا نسمعه عنك من التشرّف، وانفتاح الأبواب المغلقة، وتكليمك الإمام الهمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وخروجك إلى الكوفة والصلاة والكلام في محراب أمير المؤمنين عليه السلام وبقي أن أعرف السرّ في ذلك، والداعي لهذه الرحلة الطويلة التي استغرقت ساعات من الليل؟

عندها التفت إليّ الأستاذ وقال: أُخبرك شريطة أن لاتخبر أحداً من الناس بشيء من ذلك مادمت حيّاً، ثم أخذ مني العهود والمواثيق المغلّظة على ذلك وبدأ يحدثني قائلاً:

لقد مررت بمسألة شرعية مشكلة لم أتوصل إلى حلها، فتشرفتُ إلى زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وطلبتُ منه حلّها، فأرشدني «سلام اللّه عليه» إلى أن أتشرَّف في مسجد

الكوفة بلقاء ولده الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام وأخبرني بوجوده الآن هناك وأمرني بالسؤال منه وانه هو الإمام الحيّ الذي أُمرنا بالرجوع إليه والإستنجاد منه.

فجئت ـ كما رأيت ـ إلى مسجد الكوفة وتشرّفتُ بلقاء الإمام المهدي عليه السلام في محراب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسألته حلّ مسألتي فحلّها لي وأجابني عليها، وها أنا أرجع إلى البيت ظافراً بمسألتي محقّقاً لأُمنيتي وأملي.

ثم أعاد عليَّ ما أخذه منّي من كتمان أمره وحفظ سرّه، فوعدته الوفاء به.

وهكذا انتهت قصة «الميرعلاّم» الدالّة على عظمة الشيخ وجلالته، ومكانته عند اللّه تعالى وعند رسوله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وما ذلك إلاّ لشدّة تقواه وزهده، وعظيم جدّه واجتهاده «أعلى اللّه مقامه».

حوار بين علمين

باب الإجتهاد عند الشيعة مفتوح، وهو يُعَدّ من امتيازات الشيعة ومن مفاخرهم، وذلك لتمكّنهم عبر الإجتهاد ـ الذي هو عندهم بمعنى تطبيق الكليات الأُصولية على الجزئيات الفرعية ـ من مواكبة العصر ومسايرة التقدّم العلمي، ولذلك كلما التقى علماء الشيعة بعضهم مع بعض بدأوا معاً الحوار العلمي ومناقشة آرائهم الإجتهادية.

ومما يُنقل في أحوال الشيخ المقدس «ره» انه التقىٰ بالشيخ البهائي «ره» وتناقش معه في مسألة علمية.

يذكر ان الشيخ البهائي «رضوان اللّه تعالىٰ عليه» الذي كان وزيراً للملك الصفوي جاء بصحبة الملك إلى العراق لزيارة العتبات المقدَّسة وزيارة العلماء الأعلام فيها.

ولا يخفىٰ : ان الوزير في ذلك اليوم كان ـ عادة ـ هو المشاور المهم، والموجّه الوحيد للملك، والمهيمن على أفكاره، والمخطّط له منهاج حكمه وكيفية سياسته لإدارة البلاد والعباد، ولذلك تقدَّمت البلاد على أيديهم، وانتشر التشيّع وتوسّعت ثقافة أهل البيت عليهم السلام في عصرهم وزمانهم، فلا يؤخذ علىٰ مثل الشيخ البهائي «ره» انه كيف صار وزيراً؟ لأنه كان في الواقع هو الحاكم، والملك هو المنفّذ لأوامره والمطبق لأحكامه.

وكيف كان : فقد كان من العلماء الأعلام الذين تمّت زيارتهم: الشيخ المقدّس «ره»، فإنه بعد التحيّة والتعارف، دار بينهما ـ على العادة وفي حضور من الملك ـ نقاش ساخن حول إحدى المسائل العلمية.

فتغلّب الشيخ المقدّس «قدس سره» عبر أدلته القاطعة التي أقامها على الشيخ البهائي في أول جولة من البحث، لكن في الجولة الثانية كان التغلب للشيخ البهائي حيث كرّ

الشيخ البهائي عليه بأدلة أثبت فيها رأيه، فانسحب الشيخ المقدّس عندها من الساحة مظهراً انتصار الشيخ البهائي عليه، وبذلك أُختتمت المباحثة العلمية، وأعلنت النتيجة عن فوز الشيخ البهائي «قدس سره».

ولكن بعد انتهاء المجلس واختتام الزيارة انفرد الشيخ المقدّس بالشيخ البهائي في ناحية من البيت وأخذ يجيب على الأدلة التي أقامها الشيخ البهائي علىٰ رأيه ويفنّدها واحدة بعد واحدة حتى أتىٰ علىٰ آخرها، وبذلك أثبت صحّة رأيه دون رأي الشيخ البهائي «قدس سره».

ولما رأى الشيخ البهائي «قدس سره» قوّة استدلال الشيخ المقدس «قدس سره» وافحامه بها التفت إلى الشيخ المقدس معتذراً وهو يقول: لماذا أيها الشيخ لم تبيّن حجّتك في المجلس، فقد انفضّ المجلس بعد تسجيل النصر لي مع ان النصر في الواقع هو لكم؟

أجاب الشيخ المقدّس «قدس سره» بكل رحابة وسعة

قائلا: نعم، واني كنت أعلم ذلك، ولكني تعمدت السكوت حتى يُسجّل النصر بجانبك، وذلك لأني فكرتُ فرأيتُ ان انتصارك أولى وإن تمّ ظاهراً بافحامي وانكساري، إذ أنا واحد من طلاّب النجف الأشرف الذين ما أكثرهم، وانكساري أمام الملك وأعوانه لايهمّ شيئاً، أما أنت فشيخ الإسلام ووزير الملك والناس ينظرون إليك حكومة وشعباً بنظر الإجلال والإحترام، ويرونك الشخصية العلمية المرموقة التي لايضاهيها شخصية، فإذا رأوك وقد غلبك غيرك فقدوا نظرتهم السابقة إليك، فينحط بذلك من شأنك ومقامك وهذا مما يضر الإسلام، ولذلك التزمتُ جانب الصمت وتظاهرتُ بالإنكسار حتىٰ يبقىٰ مقامك عظيماً في نفوس الناس حكومة وشعباً، وتبقى هيمنتك على الأمور، ونفوذ كلمتك في الناس فيعلو بذلك كلمة الإسلام.

وهنا شكر الشيخ البهائي «رضوان اللّه تعالى عليه» موقف الشيخ الاردبيلي «قدس سره» النبيل، وقدّر نفسيته

الرفيعة كما قدر التاريخ نفسية الشيخ المقدس الكريمة، وقبل ذلك قدَّر اللّه سبحانه وتعالىٰ نفسيّته الطيّبة، حيث منَّ عليه بنور العلم والإيمان ومنحه الفضائل والكرامات، وهذا مما يحضّنا على التحلّي بالفضائل والمكارم، ويحملنا على تهذيب النفس وتزيينها بالسعة والرحابة، وتطبيعها على حب الآخرين، وايثار الصلاح العام على المصالح الفردية.

الإغتسال بمائة ليرة ذهبية

ومما يدل على عظم نفسية المقدّس الأردبيلي «قدس سره» وتغاضيه عن حطام الدنيا وإعراضه عنها ما ينقل عنه:

من انه جاء إليه ذات مرّة بعض مقلّديه، وأهدىٰ له مبلغاً قدره مائة ليرة ذهبيّة ومعلوم: ان الهدية غير الحقوق الشرعية التي هو أمين عليها ولايحق له صرفها إلاّ في الموارد التي عيّنها اللّه له، وانما الهدية له أن يهديها كلها لمن شاء، أو يمسكها لنفسه ويصرفها في شؤونه شيئاً فشيئاً، أو غير ذلك.

كما ان المبلغ المذكور وهو مائة ليرة ذهبية كان في ذلك الزمان مبلغاً ضخماً يعتنىٰ به، وليس مقداراً قليلاً من المال حتىٰ لايعتد به.

لكن الشيخ قد اقتدىٰ بإمامه أمير المؤمنين عليه السلام فلم ير فرقاً بين التبر والتبن، فكلاهما عنده من حيث عدم الإعتداد والإعتناء، ومن حيث البذل والإنفاق سواء.

وفي نفس الليلة احتاج الشيخ المقدس «قدس سره» إلى الإستحمام والإغتسال ليصلّي نافلة الليل، علماً بأن نافلة الليل مستحبة ويجوز اتيانها مع التيمم بدل الغُسل، ثم الإنتظار إلى أن يقرب الفجر، فإذا انفتحت الحمامات ذهب واغتسل وتهيّأ لصلاة الصبح.

لكن الشيخ لم يرض لنفسه أن تفوته فضيلة نافلة الليل مع الطهارة المائية، لذلك جاء إلى بيت الحمامي وطرق الباب عليه، فلما سمع الحمّامي طرق الباب أقبل وهو متعجّب ليرىٰ من الطارق وماذا يريد؟! فإن الوقت بعد لم يحِن لفتح الحمام؟

فرأىٰ ان الطارق يريد الإستحمام والإغتسال ولم يعلم بأنه الشيخ المقدس، لأن الشيخ كان قد أخفىٰ نفسه لئلاّ يقع

الحمامي في حرج منه، ولذلك اعتل الحمامي عليه: بأن الوقت لم يحن لفتح الحمام وهو غير مستعد لفتحه في هذا الوقت غير المناسب، فعليه أن ينصرف إلى بيته، حتى إذا حان الوقت وانفتح الحمام جاء واستحم.

وهنا حيث رأى الشيخ المقدس «قدس سره» ان الحق بجانب الحمامي، قال للحمامي: إن فتحتَ لي باب الحمام وسمحت لي بالإستحمام والإغتسال لأعطيتُك علىٰ ذلك أُجرة قدرها ليرة واحدة، مع ان الأُجرة المتعارفة في تلك الأيام كانت أقل بكثير من ذلك... مع ذلك لم يتنازل الحمامي إلى فتح باب الحمام وأخذ يتعلّل عليه.

عندها قال له الشيخ المقدّس «قدس سره»: إذن أعطيك ليرتين ذهبيتين. لم يرض الحمامي أيضاً بفتح باب الحمّام له.

فأضاف الشيخ المقدّس ليرة ثالثة، فلم يتنازل الحمامي إلى طلبه، فأضاف رابعة، فلم ينزل الحمامي إلى ما يريده، فأضاف خامسة وسادسة وهكذا، حتى وصل إلى أن يعطيه

كل المائة ليرة، فقبل الحمامي عند ذلك وفتح له الباب، فاستحم الشيخ المقدّس «قدس سره» وأدّىٰ ما عليه من الغسل، ثم أعطى الحمامي كل المائة ليرة، وذلك حتى لاتفوته صلاة الليل وعظيم فضلها مع الطهارة المائية.

وهنا ربما يخطر بالبال: بأنه إذا جاز التيمّم لنافلة الليل، فما الداعي إلى بذل هذا المال الكثير لأجل غُسل واحد؟ ألا يُعدّ هذا اسرافاً؟

والجواب: ان هذا لايُعدّ إسرافاً، فإن الإسراف الذي نهى اللّه عنه هو الإنفاق في غير طاعة اللّه، ووضعه في غير موضعه، وانما هذا انفاق في طاعة اللّه وطلباً لمرضاته ووضعاً للشيء في موضعه.

أليس تحصيل الطهارة والتنفّل بنافلة الليل، والتهجّد للّه يكون طلباً لمرضاة اللّه وامتثالاً لأمره، وطاعة له؟

نعم انه كذلك، بالإضافة إلى ان بذل هذا المقدار الكبير من المال لأجل ذلك يكشف عن ايمان الشيخ الراسخ،

واعتقاده القلبي بالثواب والجزاء وزهده عن أموال الدنيا وثروتها، وتغاضيه عن مغريات الحياة ومباهجها، وعدم مبالاته بمائة ليرة ذهبية في مقابل طاعة اللّه وعبادته ولو بمقدار غسل واحد لنافلة الليل ولأجل ذلك نرىٰ انه حصل على تلك الكرامات التي نقلنا عنه بعضها.

ولاء أهل البيت عليهم السلام ودوره

كانت في القصة السابقة ـ التي نقلناها عن المقدس الاردبيلي ـ دلالة واضحة على اهتمام الشيخ المقدّس «قدس سره» بالأعمال الصالحة، والنوافل المستحبة، والعبادة للّه والتهجّد له، حتى انه ـ كما عرفتم ـ أنفق مبلغاً ضخماً مقداره مائة ليرة ذهبية في مقابل غُسل واحد، ليدرك فضيلة نافلة الليل، ويحصل علىٰ مرضاة اللّه تعالىٰ، وهذا الإهتمام الكبير من الشيخ المقدس «قدس سره» بالعبادة، اضافة إلى ما كان يحمله من علم ومعرفة باللّه تعالىٰ، يحملنا على القول: بأن عبادات الشيخ المقدس «قدس سره» وأعماله الصالحة هي التي أكسبته الكرامة في الدنيا والمقام الرفيع في الآخرة.

لكن القصة التالية المحكية عن الشيخ المقدس «قدس سره»

أيضا تقنعنا بأن الأمر لاينحصر في ذلك وتعظنا بأن لانغتر بأعمالنا وعباداتنا مهما بلغت من الكثرة كمّاً وكيفاً، فإن الطاعة والعبادة هي من أقل وظائف العبد بالنسبة إلى خالقه ومولاه، وانه مهما بالغ فيها لايمكنه من أن يؤدّي حقّ اللّه تعالى العظيم عليه، فكيف بأن يستحق عليها شيئاً؟

ومما يذكر: ان بعض الأخيار من علماء النجف الأشرف رأى الشيخ المقدس «قدس سره» في المنام بعد موته وهو خارج من الروضة العلوية الشريفة وعليه ملابس بيضاء جميلة، ووجهه يتلألأ نوراً وجمالاً، فتقدّم ذلك العالم إليه وقال له: أيها الشيخ لي إليك حاجة.

قال الشيخ المقدس «قدس سره»: وما هي حاجتك؟

أجاب العالم قائلاً: حاجتي إليك أن تخبرني بأنّه بأيّ عمل استطعت أن تكتسب هذه الدرجات العظيمة في الآخرة، وأن تنال هذا المقام الشامخ عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؟

أجاب الشيخ ببداهة قائلا: انا وجدنا سوق العمل كساداً، وما نَفَعَنا إلا حبّ صاحب هذا القبر عليه السلام وأشار إلى قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم حبّ أمير المؤمنين عليه السلام وولاءآل الرسول «صلوات اللّه عليهم أجمعين» هو معيار الفوز بالدرجات العالية، والعمل في اطار ولائهم هو الذي يكون مقبولاً عند اللّه تعالىٰ، فحبّهم وولاؤهم هو مقياس الردّ والقبول.

وعليه فإذا كان سوق العمل لمثل المقدّس الأردبيلي ـ على ما مرّ منه ـ كساداً فكيف بأعمالنا نحن؟

فالمسؤول من اللّه سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لما يُحِبّ ويرضىٰ وأن يثبّتنا على محبّة أهل البيت عليهم السلام وولايتهم في الدنيا والآخرة إن شاء اللّه تعالى.

الشيخ صاحب الجواهر «قدس سره»

انّ من أعاظم علمائنا الربّانيّين، وكبار شخصياتنا الإسلامية، ونوابغ القرن الثالث عشر الهجري: الشيخ محمد حسن صاحب «الجواهر» الذي تولد علىٰ أعتاب القرن الثالث عشر ونبغ في أواسطه، وأصبح المرجع الأعلى للطائفة الشيعية فيها، بل الرجل الأول في البلاد الإسلامية كلها ومن له الكلمة العليا فيها.

ولقد رافقت أيام زعامته ـ لحسن سياسته ـ الإستقرار والأمن، والرقي والتقدم في كل البلاد الإسلامية، وازدهرت كربلاء المقدّسة، والنجف الأشرف بالعلم والعلماء، والأدب والأدباء، والكتب والكتّاب ـ فقهاً وأُصولاً ـ مثل كتاب «كشف الغطاء»، و«مفتاح الكرامة»، و«الرياض»،

و«المكاسب»، في الفقه، ومثل كتاب «القوانين»، و«الفصول» و«الضوابط» و«حاشية المعالم» و«الرسائل» في أُصول الفقه.

وفي طليعتها ومقدّمتها ـ والتي بنظري هي كمعجزة القرن الثالث عشر الهجري ـ هي موسوعة: «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام».

ويكفي في أن يكون المؤلف «طاب ثراه» نابغة عصره، وفي أن يكون كتابه مفخرة زمانه من بين الكتب: انه استطاع ولأوّل مرّة في تاريخ الحوزات العلمية العريقة أن يكتب كتاباً في الفقه الإستدلالي، جامعاً من أوّل الفقه إلى آخره، وكاملاً من بحث الطهارة إلى آخر الديات، ومستوعباً لكثير من الآراء والنظريات بحيث لو أراد المجتهد أن يبحث في أية مسألة من مسائل الفقه، لتمكّن من الرجوع إليه، والحصول على ما يرومه منه، وذلك لكثرة ما فيه من الفروع الفقهية والتطبيقات الإجتهادية.

وهذا في الحقيقة أمر فوق المستوى العادي، وشيء ليس كبقية الأشياء العادية، ويعرف كنه ما أقوله ومدىٰ صحة ما أصفه في حق الكتاب وكاتبه من امتهن الكتابة في الفقه الإستدلالي، وخاصة إذا كانت له علاقات اجتماعية، وشؤون مرجعية كصاحب الجواهر«ره» فإنه يعرف جيّداً كيف يكون الشيخ وكتابه «الجواهر» مفخرة لامعة من حيث التأليف والمؤلف؟

وعلى كل حال: فإنه «قدس سره» فلتة من فلتات الدهر، وآية من آيات اللّه، وموهبة من مواهب السماء، وكتابه كتاب قانون جامع، فيه جواب كل ما يحتاج إليه الناس حكومة وشعباً، وسياسة واقتصاداً، وحكماً وقضاءاً، وثقافة واجتماعاً، وغير ذلك مما يتطلبه عصره وزمانه، ويحتاج إليه الناس في تلك الأيام والظروف، فتغمّده اللّه برحمته ورضوانه، وزاد في علوّ درجاته.

تأييد وتنديد

ومما يُنقل في أحوال هذا العالم الجليل الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر «قدس سره» من القصص الكثيرة، الغنية بالدروس والعبر، والمخفرة على العلم والعمل، والدالة عل جلالة الشيخ ومكانته الرفيعة عند اللّه تعالىٰ:

يقال: انه جاء ذات مرة أحد مقلّدي صاحب الجواهر من أقاصي البلاد الإسلامية لزيارة العتبات المقدّسة، وزيارة الشيخ محمد حسن «قدس سره»، وتسليم حقوق شرعية كانت بذمته إليه.

فلما زار النجف الأشرف نزل في بيت أحد السادة قوّام الروضة العلوية المباركة، وقال له: اني من مقلّدي الشيخ صاحب الجواهر «قدس سره»، وقد جئت من بلد كذا ومعي

حقوق شرعية اريد إيصالها إليه، فهل تساعدني على مهمتي هذه وتصحبني إلى بيت الشيخ؟

فقال السيد : نعم، وفي يوم سار الزائر بصحبة السيد إلى بيت الشيخ صاحب الجواهر ودخلا عليه.

وكان صاحب الجواهر ـ كبقية المراجع ـ يجلس في ديوان له والناس يدخلون عليه لزيارته والسلام عليه، والسؤال عن مسائلهم الشرعية، وأداء حقوقهم المالية إليه، واحياناً للقضاء بينهم وفصل نزاعاتهم، وهناك أيضاً من يعمل في الديوان لتقديم القهوة والشاي إلى الزائرين والوافدين الكرام.

فلما دخل الزائر بصحبة السيد عليه كان المجلس غاصاً بأهله، وكان المراجعون محتفّين بالشيخ، يسلّمون عليه ويستفتونه ويسألونه حوائجهم وغير ذلك، والمجلس عامر بالقهوة والشاي، والشيخ متكيء على وسادته يجيب الناس ويرد عليهم سلامهم ويرحّب بقدومهم، وفي يده اليمنى الغرشة وفي اليسرى الشطب، فاثر هذا المنظر الصاخب،

والمظهر الجميل، والمجلس العامر في نفس الزائر وفكر في عدم تسليم الحقوق الشرعية إلى الشيخ لظنه بأنه مثلاً لا يصرف الحقوق الشرعية في موادرها.

لذلك بعد السلام والجلوس في زاوية من الديوان، التفت الزائر إلى السيد الذي صحبه إلى بيت الشيخ وقال: أعتذر من جنابكم، فإني أكتفي بهذا القدر من الزيارة وأعزم على التوديع ومغادرة بيت الشيخ.

قال له السيد: وحقوقك الشرعية ألا تعطيها؟

أجاب الزائر بفتور: كلاّ فقد تغيّر رأيي في ذلك.

قال له السيّد: على رأيك، لك ما تشاء، ثم قاما معاً وودّعا الشيخ وخرجا نحو البيت، واستقرّ كل في مكانه.

مضىٰ ذلك اليوم وجنّ عليهما الليل، فذهب كل إلى غرفة نومه للنوم والإستراحة، ولكن لم يمض شطر من الليل إلاّ وسمع السيّد طارقاً يطرق باب غرفته.

قام السيّد من نومه ليرىٰ من الطارق وماذا يريد؟

فرأى ان الطارق هو الزائر الذي نزل عنده، فقال له السيد متعجّباً: وماذا تريد يا أخي الزائر؟

قال الزائر وهو يلتمسه: اريد منك أن تأخذني الآن إلى بيت الشيخ صاحب الجواهر وأنا لك من الشاكرين!

قال السيد: وماذا تريد من الشيخ في هذا الوقت المتأخّر من الليل؟!

قال الزائر وبكل اصرار: أُريد أن أُسلّمه الحقوق الشرعية التي هي معي.

قال السيد وقد ازداد تعجّباً وغرابة: تسلّمه حقوقك الشرعية في هذا الوقت؟ ألا سلّمته بالأمس عندما كنا عنده؟ ثم تابع قائلاً: لا، انه الآن نائم، فعليك أن تنتظر حتى يطلع الفجر ويحلّ الصباح.

قال الزائر وكأنه مطلع على حال الشيخ في تلك اللحظة: كلاّ، ان الشيخ ليس بنائم الآن، وانما هو في حالة التهجّد ومشتغل بنافلة الليل.

غيركم.

فودّعتكم وخرجتُ عنكم ولم أُسلّم إليكم الحقوق الشرعية وأنا مغتمّ في نفسي ومفكّر في أمري، حتىٰ إذا جنّ عليَّ الليل وأخذتُ مضجعي للنوم والراحة، فإذا بي أرىٰ في منامي اني قد تشرفتُ بزيارة مولاي أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» فتقدمت نحوه فسلمتُ عليه، فردّ بوجهه الكريم عنّي ولم يردّ سلامي!

فقلت له: سيّدي يا أمير المؤمنين، أنا زائرك وقاصدك ومن شيعتك ومواليك وقد جئتُ إليك من مسافة بعيدة وشقّة غير قريبة، فلماذا تصرف بوجهك عنّي ولا تردّ عليّ سلامي؟

فقال عليه السلام: وهو يوبّخني: لماذا لم تعط الحقوق الشرعية التي هي معك لوكيلنا صاحب الجواهر؟

قلت له مستحيياً: سيّدي يا أمير المؤمنين انك تعلم اني انما لم أعطه الحقوق لما رأيتُ منه ـ حسب ظني ـ من الإقبال على الدنيا والحرص عليها، وإلا فإني لم أزُره إلا من أجل

ثم أضاف قائلا: أرجوك أيها السيد أن تصحبني الان وفي هذه الساعة إلى بيت الشيخ حتى أسلّمه كما أخبرتك حقوقي الشرعية.

نزل السيد إلى ما طلبه الزائر منه وصحبه نحو بيت الشيخ، فلما وصلا إليه وطرقا الباب عليه، انفتح الباب أمامهما وأُذن لهما بالدخول، فدخلا فرأيا الشيخ مشتغلاً بنافلة الليل ـ كما قاله الزائر ـ فلما سلّم الشيخ صلاته وأتمّها، سلّما عليه، فأجابهما ورحَّب بهما وتفقَّد عن حالهما وسألهما عن حاجتهما.

فقدم الزائر حقوقه الشرعية إليه واعتذر منه.

أخذها الشيخ ودعا له وصلّى عليه ثم قال له: لقد جئت بالأمس إلى زيارتي فلم تعطني حقوقك، وأتيت بها في هذا الوقت، فما هو السبب في ذلك؟

قال الزائر: نعم اني قصدتكم من بلاد كذا لزيارة العتبات المقدسة أولاً، ولزيارتكم ثانياً، ودفع ما في ذمّتي من

الحقوق الشرعية إليكم ثالثا، ولكن لما دخلت عليكم بصحبة هذا السيد «جزاه اللّه خيراً» ورأيتُ مجلسكم العامر تغيَّر رأيي فيكم حيث اني رأيتكم وأنتم تمسكون في إحدىٰ يديكم الغرشة، وفي يدكم الأُخرىٰ الشطب، وقد اتّكأتم على وسادتكم في صدر المجلس والناس بين مراجعين لكم وعاملين يقدمون القهوة والشاي بين يديكم، فتأثرتُ من هذا المنظر وقلت في نفسي:

انّ من يكون له هذا المجلس العامر، وهو في نفس الوقت يحرص إلىٰ هذا المقدار بالنسبة إلى الدخان حيث قد أمسك شطباً بيد وغرشة بيد أُخرىٰ، فإن مثل هذا الإنسان ـ بنظري ـ لايستحق أن يكون مرجعاً للتقليد، ولا أن يكون نائباً للإمام المهدي المنتظر «عجّل اللّه تعالى فرجه» فكيف أدفع إليه الحقوق الشرعية المختصة بالإمام المهدي أرواحنا فداه؟

ولهذا تراجعتُ عما نويته من تسليم الحقوق الشرعية إليكم، وفكّرتُ في العدول عن تقليدكم، والرجوع إلى

تسليم الحقوق الشرعية إليه.

عندها أجابني عليه السلام قائلاً: كلا، لبس الأمر كما ظننت، فأحسن ظنّك بالشيخ، واستغفر لذنبك، واعلم انه وكيل من قبلنا ومرضي عندنا، فاذهب إليه الآن فإنه قائم يصلّي نافلة الليل وسلّم إليه حقوقك الشرعية، واعتذر منه.

ثم أضاف الزائر قائلاً: وها أنا ذا قد زاحمتُ السيد ليصحبني في هذا الوقت إلى بيتكم، حتى أُسلّم عليكم، وأدفع ما في ذمّتي من الحقوق الشرعية إليكم، وأُقدّم إليكم اعتذاري عن سوء ظني بكم.

فتبسَّم صاحب الجواهر «قدس سره» ضاحكاً من قول الزائر وقال: ولهذا نُهينا عن سوء الظن بالناس، وأُمرنا بأن نحمل فعل الآخرين على سبعين محمل حتىٰ نصحّح أعمالهم وما صدر منهم، ولا يقع الريب في قلبنا بالنسبة إليهم، ثم تابع كلامه قائلاً:

أما ما رأيته من كون مجلسي عامراً، فاعلم بأن الإسلام

أمر بالإهتمام الكبير، والإحترام الكثير، والترحيب اللائق بالضيوف والزائرين، وهؤلاء المراجعون كلهم ضيوف عليَّ، ووفود إليَّ وحيث انهم كثيرون، ولا يمكنني بوحدي أن أقوم بما يجب تجاههم عليّ، أوكلتُ إلى هؤلاء الذين رأيتهم يقدمون القهوة والشاي وغير ذلك بأن يقوموا ببعض الواجب تجاه الضيوف الكرام.

وأما ما رأيته من كون الغرشة بإحديٰ يديّ، والشطب بيدي الأُخرىٰ، فاعلم بأن الإسلام يأمرنا بقبول الهدية، وعدم ردّها، وبمداراة الناس ومجاملتهم في آدابهم التي لم ينه الشارع عنها، ولذلك توزّع الغرشة في المجلس وأنا أشربها، وعندما كنتُ مشتغلاً بشرب الغرشة أهدىٰ إليّ أحد الزائرين الكرام شطباً، فقبلته منه وكرهتُ أن أردّها عليه، لكني لم أشربه وانما اكتفيت بمجرّد امساكه بيدي حتى أُطيّب بذلك خاطر الزائر الكريم الذي أهدى الشطب إليَّ.

ثم التفت الشيخ «قدس سره» إلى الزائر يخاطبه قائلاً:

فهل ياترىٰ في الذي رأيته من مجلسي ومن محضري بعد ما بيّنته لك من حرص على الدنيا واقبال عليها؟

أجاب الزائر بانكسار واعتذار قائلاً: كلا، انه ليس فقط اقبالاً على الدنيا وحرصاً عليها فحسب، وانما هو عمل بما أمر به الإسلام من الإحتفاء بالضيوف، وإكرام الزائرين.

ثم شكر الزائر الشيخ على سعة صدره، ورحابة نفسه واعتذر منه وودعه مع السيد، وانصرفا.

وفي صباح اليوم الثاني أقبل الزائر إلى السيد مبكراً ليصحبه مرة أُخرىٰ إلى بيت الشيخ ليقصّ على الشيخ صاحب الجواهر رؤيا رآها الليلة الماضية أيضاً، فصحبه السيد إلى بيت الشيخ مرة ثالثة، فدخلا على الشيخ وسلّما عليه وجلسا عنده، فرحَّب بهما الشيخ واحترمهما الإحترام اللائق بهما، ثم التفتَ إلى الزائر وقال له: هل من أمر جديد؟

أجابه الزائر وعلامات الإرتياح والسرور تظهر على قبسات وجهه قائلاً: نعم، لقد تشرفتُ الليلة الماضية في المنام

بزيارة مولاي أمير المؤمنين عليه السلام أيضا للمرة الثانية، ولكن كان عليه السلام في هذه المرّة على خلاف المرة الأُولى وذلك اني لما سلّمتُ عليه في هذه المرّة ردّ عليّ أجمل ردّ، ورحَّب بي أجمل ترحيب، وهو في ذلك كله يبتسم إليَّ ويضحك في وجهي، مما يدل على انه عليه السلام تفضَّل لقبول عملي والعفو عن خطائي.

ثم قال عليه السلام لي: «ولكن ليس في صحيفتك الجواهر» ولم يزد عليه السلام على هذا الكلام شيئاً، فلم أعرف ما عنىٰ بكلامه عليه السلام هذا، وما الذي أراده منه، ولهذا جئتُ إليكم حتى أستفسركم عن معنى الرؤيا التي رأيتها الليلة الماضية.

فلما تمّ كلام الزائر وقصّ عليه رؤياه تبسّم الشيخ صاحب الجواهر «قدس سره» والتفت إليه وقال: نعم اني قد ألّفتُ كتاباً اسمه «الجواهر» يعني به «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» وهذا الكتاب مما يحتاج إليه الطلبة وهو غير مطبوع، وطبعه بحاجة إلى كميّة كبيرة من المال لم يكن

متوفرا عندي حتىٰ أطبعه واوزعه بينهم، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام لعلّه أشار عليك بكلامه هذا أن تقوم بطبع هذا الكتاب أنت، أو تعطي ما يمكن طبعه به حتى يتمّ توزيعه على الطلبة.

فقدّم الزائر للشيخ كمية من المال لأجل طبع هذا الكتاب ونشره.

وهذه القصة تحرضنا على العلم والعمل، وتدفعنا إلى أن نجعل من أنفسنا ومن أولادنا وذرّياتنا من يضاهي الشيخ صاحب الجواهر «قدس سره» في العلم والتقوىٰ، والتأليف والتصنيف إن شاء اللّه تعالىٰ، وما ذلك على اللّه بعزيز، وهو الموفّق المعين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

٤

الإقتداء بالعلماء

آية اللّه العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيّبين الطاهرين

ولعنة اللّه علىٰ أعدائهم أجمعين

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

يجب علينا بصورة عامة، ونحن الطلبة بصورة خاصة أن نقتدي بعد النبي والأئمة الأطهار «صلوات اللّه عليهم أجمعين» بعلمائنا الأخيار ومراجعنا الأبرار الذين ساروا بسيرة المعصومين ﷺ وانتهجوا نهجهم فملؤوا الدنيا علماً وفضلاً وزهداً وتقوى، حتى نفوز بجنّات عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتّقين، إن شاء اللّه تعالى، وبهذا الصدد نذكر بعض القصص المعنيّة بهذا الأمر واللّه المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

من يوميات الشيخ الأنصاري «قدس سره»

آية اللّه العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري «قدس اللّه سره وطيّب رمسه» عالم كبير من علماء المسلمين ، له من الكتب : «الرسائل» و«المكاسب» وغيرهما ، وهي مدار بحث الحوزات العلمية منذ مائة سنة إلى هذا اليوم، ولاتزال كتبه على طراوتها وغضاضتها وأهميتها وقوتها ، بل ازدادت على طول الزمان أهمية وقوّة، وطراوة وغضاضة.

وكان هذا العالم معروفاً في زهده وتقواه، وفي ورعه واجتهاده، وفي مثابرته وسعيه، وفي علمه وعمله.

وقد كان من ورع هذا العالم الجليل ما نقله لي والدي

«رحمه الله»[1] حيث قال:

ذهب الشيخ المرتضى «قدس سره» ذات مرة ابّان دراسته الحوزويّة في النجف الأشرف، إلى مسجد الكوفة لأداء أعمال المسجد ونوافلها وكان معه أحد زملائه من طلبة العلوم الدينية أيضاً، ولم يكن عندهما من النقود إلا فلس واحد، فذهب زميل الشيخ إلى السوق لتهيئة ما يتغدّون به فاشترى خبزاً ودبساً، وأقبل على الشيخ.

فلما رأى الشيخ على الخبز شيئاً من الدبس قال له متعجّباً: من أين اشتريت الدبس! وليس لنا إلاّ فلس واحد وهو ثمن الخبز فقط؟

أجاب زميله قائلاً: نعم اني اشتريتُ الخبز بالفلس واستدنت الدبس.

قال الشيخ: هب ان صاحب الدبس رضي بذلك فكيف

(١) هو آية الله العظمى الحاج السيد ميرزا مهدي الشيرازي «قدس سره».

نرضىٰ نحن بذلك؟ فهل تضمن أنت يا صاحبي حياتنا حتىٰ نرجع إلى هذا الشخص ونؤدّي دَيْنه؟

قال : لا .

فقال الشيخ : إذن أنا لا آكل الدبس .

ثم بدأ الشيخ يأكل من أطراف الخبز الذي لم يكن عليه دبس، وأكل زميله الخبز والدبس .

وبعد مرور سنوات على هذه القصة وقد صار الشيخ المرتضى «قدس سره» مرجعاً عاماً مطلقاً للشيعة جاءه ذلك الصديق وكان قد أصبح عالماً في إحدىٰ قرى ايران .

فلما رأى درس الشيخ وصلاته واطلع على هيبته وعظمته قال للشيخ متسائلاً :

من أين وصلت شيخنا إلى هذه المرتبة، وقد بقيتُ أنا إنساناً عادياً وإماماً في قرية من القرى المعزولة في ايران؟

أجابه الشيخ ببداهة : لأني تجنبت أكل الدبس.

قال الشيخ ذلك وهو يريد بيان ان الغض عن مغريات الحياة ومشتهيات النفس هو الطريق الذي يرتقي الإنسان بسببه إلى المقامات العالية في الدنيا وفي الآخرة.

مع ممثلية الحكومة العثمانية

ومن قصص زهد الشيخ «قدس سره» وتقواه وورعه واجتهاده، ما حكي عنه:

من ان الوالي العثماني جاء يوماً إلى النجف الأشرف، وذلك بايعاز من الخليفة العثماني القاطن في تركيا - اسلامبول - ليرى الشيخ عن كثب، ويرى كيفيّة سلوكه وأخلاقه، وزهده وتقواه، واجتهاده وورعه، وهيبته وعظمته التي ملأت الآفاق.

فجاء الوالي إلى بيت الشيخ بدون اعلام مسبق، فرآه بيتاً بسيطاً متواضعاً والشيخ جالس على حصير عادي، وأمامه كانون من خزف فيه شيء قليل من النار يحتمي بها من البرد،

لأن الوقت كان شتاءا، كل ذلك وهو مكب علىٰ كتابه ومشغول بمطالعته ونظر على الشيخ عمامة من صوف وهو يرتدي قباءاً متواضعاً، قماشه من أبسط أنواع الأقمشة المسمّى بالكرباس.

تعجّب الوالي من قدسية الشيخ «قدس سره» ومعنويته: حيث رآه يمثّل الزهد في ملبسه ومسكنه، وفرشه وأثاثه، وفي كل شؤون حياته، فبيت متواضع، وحياة بسيطة، بلا تكلّف ولا تعقيد، ولا زخارف ولا مباهج.

ولما أن وقع نظر الشيخ «قدس سره» على وفود ضيف إليه، قام من مكانه مستقبلاً ضيفه ومرحّباً به، ثم جاءه بإناء من خزف فيه شيء من الماء والدبس، وقدَّمه إليه، وجلس عنده يتحدّث إليه ويتفقّد أحواله، حتى إذا شرب الضيف ما قدّم إليه حان وقت تدريس الشيخ، وإلقاء محاضرته العلمية على الكثير من الطلبة والعلماء الذين كانوا يحضرون مجلس درسه.

عند ذلك استأذن الشيخ ضيفه في الذهاب إلى الدرس، فخرج وخرج الضيف معه، ثم ودّعه الشيخ وافترقا.

ثم ان الوالي ذهب إلى الخليفة العثماني وقال له: وجدتُ الشيخ في الزهد والتقشف كما يحكىٰ عن الخليفة في زهده وتقشفه.

وليس علينا نحن الآن المناقشة في المثال، وانما علينا بيان ان الشيخ الأنصاري «قدس سره» كان في معنويته بحيث قد تجلّىٰ في نفس الوالي العثماني كتجلّي أعظم مظهر للزهد والتقشف عندهم بعد رسول اللّه ﷺ حسب زعمهم، وهذا مما يدل علىٰ عظمة الشيخ الأنصاري «قدس سره» الروحية، ومعنويته العالية، وشخصيته الفذة والوحيدة.

دور الأم في تكوين الشخصية

ومما يحكى عن الشيخ الأنصاري «قدس سره» انه لما وصل إلى ما وصل إليه من المراتب العالية في العلم والعمل، والفضل والإشتهار، قيل لوالدته العجوز: لكِ الفخر والمحمدة، فلقد حباكِ اللّه ولداً فاضلاً، بلغ إلى مرتبة رفيعة من العلم والكمال، والسيادة والإشتهار.

فقالت: ليس ذلك عجباً فإني كنتُ أتوقع له شخصية أكبر من شخصيته هذه، ومعنوية أعظم مما هو عليها، فلقد عنيتُ به منذ أيامه الأولىٰ، فإني لم أكن أرضعه ولا مرة واحدة إلا وأنا على وضوء وطهارة، ولربما قام في الليل الشاتي مرات عديدة، فكنتُ أقوم وأتوضأ بالماء البارد أولاً،

ثم ألقمه صدري، وهل بعد ذلك عجب من أن يصل ولدي إلىٰ ما قد رأيتم وصل إليه؟

كلاّ ! لاعجب.

فإن التربية الدينية والعناية الصحيحة تؤثّر في تكوين الشخصية وفي تثبيت معنويات الإنسان وتعاليه.

فلنعتن بتربية أولادنا ولنحرّضهم على الدراسة الدينية حتى يكونوا امتداداً للشيخ الأنصاري «قدس سره» ونظرائه في العلم والتقوى إن شاء اللّه تعالى.

على أعتاب الهجرة

ومن طريف ما يُنقل عن الشيخ «قدس سره»: انه حينما أراد الهجرة من مسقط رأسه، وبلد ذويه وأهله إلى كربلاء المقدسة لمواصلة دراسته الحوزوية[1] فامتنع أهل الشيخ من الموافقة علىٰ سفره، وأصرّوا في ذلك، وأخيراً تحت وطأة الحاح الشيخ قرّروا أن يستخيروا اللّه تعالىٰ، ويطلبوا الخير منه، فلما استخاروا بكتاب اللّه خرجت هذه الآية المباركة:

﴿وأوحينا إلى أُمّ موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليكِ وجاعلوه من

(١) حيث كانت الحوزة العلمية في ذلك الوقت في كربلاء المقدسة وكان شريف العلماء «قدس سره» أكبر علماء كربلاء المشهورين.

المرسلين﴾ .[1]

وهكذا كان، فلقد تفوّق الشيخ الأنصاري «قدس سره» على أقرانه، ونبغ في درسه وبحثه، وتضلّع في الفقه والأصول وفي علوم أهل البيت عليهم السلام حتى صار من العلماء البارزين ومن مصاديق ما قاله رسول اللّه صلى الله عليه وآله في حق الفقهاء والمجتهدين من أمته، كما في الحديث الشريف:

«علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل» .[2]

---

(١) سورة القصص : ٧ .

(٢) بحار الأنوار : ٢/ ٢٢ ب ٨ ح ٦٧ .

في طريق الزيارة والتشرف

لقد نقل لي العلاّمة المرحوم آية اللّه السيد مرتضى الطباطبائي «قدس سره» وكان والده من معاصري الشيخ الأنصاري «قدس سره» قائلاً:

أراد الشيخ «قدس سره» ذات مرة المجيء إلى كربلاء المقدسة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وذلك من طريق شط الفرات.

فقال له أحد تلاميذه: اني أُحب أن أصحبك في هذا السفر.

فقال له الشيخ: انك لن تستطيع معي صبراً.

فأصرّ التلميذ على طلبه وصحب الشيخ في سفره، وفي

الطريق رأىٰ من الشيخ ما كان عجبا، مما لم يستطع عليه صبراً.

فإن الشيخ لم يكن يستقر له بال في طول الطريق، وكان دائماً في خضوع وخشوع، وقيام وقعود، وركوع وسجود، وصلاة وبكاء، وزهد وعبادة، حتىٰ إذا وصلت سفينتهم إلى كربلاء المقدسة، نزلوا منها وهم متعبون.

فقال التلميذ للشيخ: يا حبذا لو نذهب إلىٰ إحدى المدارس العلمية فنستريح فيها من تعب الطريق، ووعثاء السفر هنيئة؟

فأجابه الشيخ قائلاً: ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً؟

فقال التلميذ: لابأس، اني معك على ما تحب.

فأقبلا معاً حتى إذا وصلا إلى الحمّام، دخل الشيخ الحمّام واغتسل غسل الزيارة وجاء إلى حرم الإمام الحسين «عليه الصلاة والسلام» ودخله بكل وقار وسكينة، وهدوء

وخشـوع، وبعد الـزيارة وأداء صـلاتهـا، بـدأ يصـلي صـلاة الحاجة المعروفة التي جاء فيها أربع مرات سورة الأنعام، لأنها أربع ركعات: الركـعتان الأوليان بأنعـامين والركعتان الثـانيتان بأنعامين أيضاً.

ومن المعلوم: ان مـثـل هذه الـصـلاة تستـغـرق مـن مـثـل الشيخ أكثر من أربع ساعات.

ثم اشتـغل الشيـخ «قدس سره» بعـدها بالنوافل والأدعـية المأثـورة حتـى مضىٰ شطـر من الليـل، عند ذلـك غـادر الشـيخ الحرم الشريف إلى المدرسة وأكل شيئاً يسيراً ومعه تلميذه وقد أرهقه التعب والسهر.

فطـلب منـه الشيـخ أن يـذهب للنـوم ويستـريح، فـتناوم التلميذ وسعىٰ أن لايغفو بل يبقىٰ منتبهـاً حتى يرىٰ ماذا يصنع الشيخ.

وإذا بالـشيـخ يتـهيّأ لـلخـروج من المدرسـة، فلمـا خـرج، خرج التلميذ وراءه ليرى إلى أين يذهب الأُستاذ.

فرأى ان الشيخ ذهب بعيدا وبعيدا، حتى دخل مسجدا نائياً في آخر البلد وأخذ يتكلّم مع انسان.

وكلما حاول التمليذ أن يراه مع من يتكلّم، لم ير للإنسان الذي يكلّمه الشيخ أثراً، وانما كان يسمع صوته فقط، فلما أتم الشيخ كلامه وخرج من المسجد دخل التلميذ على اثره في المسجد ليرىٰ الذي كان يكلّمه، فلم ير أحداً.

فجاء إلى الشيخ وهو يقول: أيها الأستاذ لقد كنتُ في أثركم ورأيت كلما جرىٰ، فأخبروني بأنه ماذا كنتم تصنعون هنا؟ ومع من كنتم تتكلّمون؟

فقال الشيخ ـ بعد ما أخذ منه العهود والمواثيق علىٰ أن لايخبر أحداً بهذا السرّ مادام حيّاً ـ: انه كان يكلّم الإمام الثاني عشر الحجّة بن الحسن المهدي «عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف» ويسأله عن مسائل.

فقال التلميذ للشيخ متسائلاً: لماذا جئتم إلى هذا المكان البعيد ولم تتكلّموا مع الإمام عليه السلام في الحرم الشريف، مع

انكم لو تكلمتم معه في الحرم الشريف لم يطلع الناس عليكم، لأن الناس لايعرفون الإمام عليه السلام فيظنّون انكم تتكلّمون مع أحد من الناس؟

فقال الشيخ : لقد سألتُ ذلك من الإمام عليه السلام وسألته عن سببه.

فأجابني «عليه الصلاة والسلام» : بأنّ حرم الإمام الحسين عليه السلام ليس موضع الكلام وانما هو موضع بكاء وعبادة، وصلاة ودعاء.

ومن المعلوم : ان هذا الكلام من الإمام الحجّة «عليه الصلاة والسلام» كان تأدّباً، وتعليماً لنا، وإلا فإن الكلام مع الإمام المعصوم عليه السلام ليس بأقل من التضرّع والبكاء، والدعاء والعبادة، بل كلام الإمام المعصوم عليه السلام والتكلّم مع الإمام المعصوم عليه السلام هو عين العبادة.

عتاب وبلاغ

كان في كربلاء المقدسة طالب من طلاّب العلوم الدينية مشتغلاً بالدراسة، وكان يعيش في فقر مدقع إلى أبعد الحدود وكان بالإضافة إلى ذلك أنه أعزب أيضاً، فكان يعاني من العزوبة والفقر أيّما معاناة.

فاشتكىٰ ذلك إلى الإمام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام عند زيارتهما عليهما السلام، وطلب منهما الوساطة له إلى اللّه تعالىٰ بالفرج والرخاء، لكن رغم مضي مدّة غير قصيرة لم ير أثراً للإجابة.

وأخيراً اشتدَّت به الأحوال حتى أصابه نوع من اليأس، ففكّر في نفسه وهوانها على اللّه، وانه لم يكن مؤهلاً لأن

يعبأ الله به، ولا أن يعتني به الأئمة الطاهرون ﴿ع﴾، وإلا لفرّج اللّه عنه، ولذلك عزم على الرجوع إلى بلاده ومغادرة العتبات المقدسة آيساً من إجابة اللّه سبحانه وتعالىٰ له.

فقال في نفسه: اني أُودع الإمام الحسين ﴿ع﴾ وأذهب إلى حرم الإمام أمير المؤمنين ﴿ع﴾ في النجف الأشرف وأُودّع الإمام ﴿ع﴾ ثم أذهب إلى بلدي وهكذا فعل.

فإنه غادر كربلاء المقدسة نحو النجف الأشرف، ولما وصل إلى النجف الأشرف ودخل الصحن الشريف إذا به يرى خادم الشيخ المرتضى «قدس سره» جالساً في زاوية من زوايا الصحن ينتظره، فلما رآه قال له: ان الشيخ يدعوك ويريد لقائك، وذلك من دون سابقة اطلاقاً.

فاستجاب وصحبه إلى دار الشيخ المرتضىٰ «قدس سره»، فلما دخل وسلّم عليه، أجابه الشيخ ورحَّب به ثم أخذ يعتب عليه ويقول له: أنتم الطلبة إذا كانت معرفتكم بالأئمة الطاهرين «صلوات اللّه عليهم أجمعين» بهذه الدرجة

من الضعف والإنحطاط فكيف يكون إذن حال سائر الناس؟

ثم بعد هذا العتاب، ناوله كيساً فيه مقدار من المال يكفيه مؤنة الزواج ومؤنة القرض والفقر وقال له: ترجع بعد أن تزور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى كربلاء المقدسة وتتزوّج بها، وتعطي من كنت مديوناً له من هذا المال، فإن اللّه قد أذن لك بالفرج والرخاء.

تعجّب الطالب من هذه المفاجأة حيث انه كان على علم بأنه لم يطّلع علىٰ سره أحد إلاّ اللّه تعالىٰ والأئمة الطاهرون «عليهم الصلاة والسلام» فاعتقد بعد ذلك بالشيخ الأنصاري «قدس سره» اعتقاداً كبيراً لما أنبأه من باطنه، ولما أسعفه بحاجته من غير سابق معرفة عادية.

صراع وانتصار

هناك قصة جميلة تنقل عن الشيخ الأنصاري «قدس سره» تدل على مدىٰ زهد الشيخ وشدّة ورعه واحتياطه، فقد جاءه ذات مرة انسان وقال له: شيخنا لقد رأيتُ البارحة في المنام عجباً.

قال له الشيخ: وما رأيت؟

قال: لقد رأيتُ الشيطان وعلى رأسه قلنسوة ملوّنة بألوان مختلفة، ورأيتُ بيده حبالاً غليظة وحبالاً دقيقة، وسلاسل من حديد طويلة وقصيرة، ورأيتُ سلسلة طويلة مقطعة في سبع مواضع منها.

فتقدّمتُ إليه وقلت له: ما هذه الألوان التي تحملها

معك؟ وما هذه الحبال والسلاسل التي بيدك؟

قال الشيطان: هذه هي مصائدي التي أصيد بها الناس وأجرّهم بها إلى المهالك، فإنسان يأتيني باللون الأحمر، وآخر باللون الأخضر، وثالث باللون الأزرق، ورابع لا أتمكن أجرّه بالألوان، أجرّه بالحبال الدقيقة، وآخرون بالحبال الغليظة، وآخرون من الزهّاد والعباد والعلماء بالسلاسل القصيرة والطويلة.

قال الرجل: فقلت له: فما هو اللون الذي تجلبني به، وأين الحبل الذي تسحبني بسببه؟

فقال الشيطان: انك وأمثالك لاتحتاجون إلى حبال، ولا إلى ألوان، وانما أجلبكم بإشارة خفيفة.

فسأله الرجل قائلاً: وما هذه السلسلة المقطعة في مواضع متعدّدة منها؟

قال الشيطان: انها سلسلة الشيخ المرتضى، فإني قد جذبتُه الليلة البارحة سبع مرّات بهذه السلسلة وهي أغلظ

سلاسلي وأطولها، وفي كل مرة يقطع الشيخ السلسلة تقطيعا ويصرعني وينفلتَ من حبائلي، والآن أنا آيس منه ومتحيّر ماذا أصنع معه.

فلما انتهىٰ ذلك الرجل من نقل منامه إلى الشيخ، تبسّم الشيخ وقال: الحمد للّه رب العالمين.

ثم قال: نعم، لقد كان من قصّتي البارحة: انّ زوجتي أخذها الطلق وألم المخاض والولادة، ولم يكن عندنا في البيت شيء يكتفى به لأجل هذا الأمر، ففكرتُ ماذا أصنع في أمرها؟

فتذكّرتُ بأن هناك أمانة كانت لأحد الناس قد أودعه عندي، ويمكنني التصرف فيها بالفحوىٰ، فإنه وإن لم يصرّح لي بالإذن في التصرّف فيها إذناً صريحاً، لكن ظاهر حاله انه يأذن لي إذناً فحوائياً بالتصرف فيها، ثم ارجاعها بعد الوسع إلى مكانها، ومن جهة ثانية كنتُ مضطراً في الإستفادة منها..

وعلى ذلك عزمت على التصرف في المال وقمت لاخذه حتى أتصرّف فيه، لكني رجعتُ وقلتُ لعل اللّه ييسّر الولادة بدون حاجة إلى التصرّف في هذا المال.

ثم بعد مدة عاودتني الفكرة من جديد فعزمتُ ثانية على التصرف في المال لكني رجعتُ أيضاً دون أن آخذ المال.

وفي مرة ثالثة عاودتني الفكرة وعزمتُ من جديد على أخذ المال والتصرف فيه، لكني رجعتُ للمرة الثالثة وانصرفتُ عن عزمي، وهكذا تردّدتُ إلى سبع مرات.

ثم عزمتُ أخيراً على غض النظر عن المال والإنصراف عن التصرف فيه، حتى إذا كان قريباً من الفجر سهّل اللّه سبحانه وتعالى على المرأة أمر الولادة، فولدت بسلامة وعافية من دون حاجة إلى أن آخذ من المال شيئاً.

استنتاج

كانت هذه نماذج يسيرة وقليلة وفيها دروس وعظات كبيرة وبليغة مما وصلتنا من قصص حياة الشيخ الأنصاري «قدس اللّه سره» وما لم يصلنا منها فهو الكثير الكثير، والذي يتصدّر كل هذه الدروس والعظات وينبغي الإشارة إليها من بين الجميع هو:

ان الشيخ كان من أُسرة متواضعة خاملة الإسم والرسم، غير انها كانت مؤمنة وملتزمة ضحت بإدخال ابنها: «الشيخ المرتضى» في سلك الحوزة العلمية وتحمّلت كل مشاكلها ومصاعبها.

وكان هو الآخر الذي آمن بالدراسة الدينية الحوزوية وتحمّل بنفسه أتعابها ومشاقّها، وجدّ واجتهد، وأخلص

وأتقىٰ، وواصل واستمر، وانتقل متابعا درسه في الحوزة العلمية في اصفهان، ثم في كربلاء المقدسة، ومنها إلى النجف الأشرف، حتى أصبح نجماً لامعاً يتلألأ في سماء العلم والفضيلة، والتدقيق والتحقيق، وأصبحت كتبه مرجعاً للفضلاء والعلماء، وركناً يعتمد عليها كل الحوزات العلمية المعاصرة، ويحترمها كل المعاهد العلمية الجديدة، وخاصة منها المكاسب والرسائل.

ولو استطعنا نشر كتبه وترجمتها باللغات العالمية بأُسلوب جديد قد لاتبتغي المعاهد العالمية عن تدريسها بدلاً، ولا انصرفت عنها حولاً.

وهذه المفاخر كلها تدعونا إلىٰ مواصلة دربه، ومتابعة سيره، بإدخال أولادنا في الحوزات العلمية، وحثهم على الدرس والبحث، والورع والتقوىٰ حتى يصلوا إلى ما وصل إليه الشيخ «قدس سره» من فضل وعلم، ومكانة وشخصية، وننال بذلك شرف الدنيا والآخرة إن شاءالله تعالى.

مفخرة علمية أخرى

ومن تلامذة الشيخ الأنصاري «قدس سره» المبرزين، والذين يشار إليهم بعد الشيخ بالبنان هو: المجدّد الميرزا الكبير، آية اللّه العظمى السيد محمد حسن الشيرازي «رضوان اللّه تعالى عليه».

فقد نقل لي أحد الإخوة الأعزّاء[1] عن بعض الثقات قائلاً:

ان الميرزا الكبير «قدس سره» كانت مرجعيته العامة تقتضي مراجعة العلماء له لأخذ الوكالة منه، فكانوا يفدون عليه من شتىٰ أقطار البلاد الإسلامية يستميحون وكالته،

(١) وهو: المرحوم السيد علي الشبّر.

وكـان يمنحـهم ذلـك، فكان ممن نال شـرف الـوكالـة عنه أحـد رجال طهران.

لكن بعد مدة من الزمان جاءه جماعة من أصحابه وقالوا للـميـرزا : ان هذا الرجـل الذي حـصل على وكـالـتكـم في طهـران يتـصـرّف بعض التـصـرفـات غيـر اللائـقة وطـلبـوا منه سحب الوكالة عنه.

فـقـال الميرزا: أرىٰ رأيـي في الموضـوع، لكـنه لم يـفـعل شيئاً.

استمر ذلك الوكيل في التصرفات غير اللائقة حتى جاء أصـحـاب الميـرزا إلى الميرزا ثـانيـةً وطـلبوا مـنه للـمـرة الثـانيـة سحب وكالته منه لسوء تصرفات هذا الوكيل.

فأجابهم الميرزا أيضاً: أرىٰ رأيي فيه، لكنه لم يفعل شيئاً أيضاً.

ثم انـه جاءه الأصـحـاب مـرة ثالـثة ورابـعـة وفي كل مـرة يسـوّف الميرزا الأمر ويعـدهـم النظـر فيـه، حتى جـاؤا إليـه في

المرة الأخيرة وقالوا له: سيدنا هل تسيء الظن بنا؟

أجابهم الميرزا قائلاً: كلا، اني أُحسن الظن بكم.

قالوا: يا سيدنا هل نحن معتمدون عندك؟

قال الميرزا: نعم أنتم معتمدون عندي وأنا أثق بكم وبما تقولونه.

قالوا: يا سيّدنا فهل ما أخبرناكم من تصرفات وكيلكم هو تصرف لائق؟

أجاب الميرزا: كلا، ان تصرفات هذا الوكيل غير لائقة.

قالوا: إذن يا سيّدنا فما الذي يمنعك من سحب وكالتكم عنه؟

قال: ما يمنعني من ذلك إلاّ ملاحظة أمرين:

الأمر الأول: ان هذا الوكيل كانت له قبل منحه وكالتي منزلة مّا في المجتمع، وبوكالتي له ازدادت منزلته في الناس، والآن إذا سحبتُ وكالتي منه سقطت منزلته جميعاً: المنزلة

التي حصل عليها بسبب الوكالة، والمنزلة السابقة التي كان يتمتّع بها من قبل الوكالة، فهل يحق لي أن أُسقط منزلته السابقة بسبب استرجاع الوكالة منه؟

ثم أضاف قائلاً: ان هذا الأمر هو الذي يمنعني عن سحب الوكالة منه، وجعلني أُفكّر في كيفية سحب الوكالة عنه، سحباً بحيث لايأخذ من منزلته إلاّ بالمقدار الذي أعطيته ويبقى المقدار الذي كان له.

فإنّ مثله ومثلي كمثل انسان كان له دينار فأقرضه إنسان آخر ديناراً ثانياً فصار عنده ديناران، ثم أراد استرجاع ديناره، لكن كان ذلك مستلزماً لاسترجاع الدينارين معاً، فهل يحق له استرجاع ديناره المستلزم لذلك؟ كلاّ، بل عليه أن يفكّر في استرجاع ديناره فقط دون الدينار الثاني حتى لايظلم صاحبه، فإن الظلم مما لا يرضىٰ به اللّه تعالى.

الأمر الثاني : ان أمر ابقاء الوكالة وسحبها يدور بين أهمّ ومهم، واني أُفكّر منذ أمد بعيد باحثاً عن ان أيهما أهم؟

هل ابقاء الوكالة عنده وقيامه بالشؤون الدينية أهم، أو سحب الوكالة عنه وترك تلك الأمور الدينية بلا أن يقوم بها أحد أهم؟

وهكذا كان الميرزا الكبير «رحمة اللّه عليه» دقيقاً في الأمور التي ترتبط بشؤون الآخرين، وكان يراعي فيها هذا الحد من الدقّة. وقد وصل على اثر جدّه واجتهاده، وورعه وتقواه إلى مرتبة رفيعة في العلم والعمل، والرئاسة والزعامة، والمرجعية العامة للشيعة.

ولا يخفىٰ ان الميرزا كان ـ كما تعلمون ـ ابن تاجر من تجّار مدينة «شيراز» دخل الحوزات العلمية الدينية وتلمذ عند الشيخ الأنصاري «قدس سره» فتخرّج على يديه مجدّداً كبيراً ومدافعاً عظيماً عن الإسلام والمسلمين في قضايا مذكورة في التاريخ باسهاب.

فهل لنا أن نرسل بعض أولادنا إلى الحوزات العلمية ليصبحوا كالميرزا «قدس سره» بإذن اللّه

سبحانه وتعالى؟

وما ذلك على اللّه بعزيز.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

الفهرس

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين

وصلى اللّه على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة اللّه علىٰ أعدائهم أجمعين